العدد ٨١٨ — الاثنين ٧ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

عودة الأبطال ... ... : أحمد حسن الزيات ٢٦٩

الكنيسة والدولة فى ظل الشيوعية : الأستاذ عمر حليق ٢٧٠

الغدائية الأولى ... ... : السيد عمر الخطيب ٢٧٣

العاطفة الدينية فى شعر عرم ... : الشيخ محمد رجب البيومى ٢٧٦

المقام العظيم ... ... (قصيدة) : (عن الإنجليزية) ٢٧٩

نصير الدين الطوسى ساعى الثقافة الإسلامية ... ... : الأستاذ ضياء الدخيلى ٢٨٠

القوة الحربية لمصر والشام فى عصر الحروب الصليبية ... ... : الأستاذ أحمد أحمد بدوى ٢٨٣

أدب القصة القصيرة ... ... : الأستاذ مصرى عطا الله ٢٨٧

أحلام ... ... (قصيدة) : الأستاذ ابراهيم الوائلى ٢٨٨

« تعقيبات » : رأى الراعى يعود إلى ميدانه — توفيق الحكيم والفن الإنسانى — تحية قلبية وأخرى قلمية — رسالة ماجستير فى كلية الآداب — الخطاب مع إيليا أبى ماضى ٢٨٩

« الأدب والفن فى أسبوع » : قصة أوديب فى الآداب المختلفة — تعقيب — كشكول الأسبوع — الثقافة المصرية بالسودان — عزيزتى السيدة ملك ٢٩٢

« البريد الأدبى » : الفلوجة لا القالوجة ولا الفالوجا — التقريب بين اللغتين — حافظ وشوقى ٢٩٥

٣٢٠٢٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 818

Lundi — 7 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨١٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٧ مارس سنة ١٩٤٩ « السنة السابعة عشرة

عودة الأبطال

اليوم يعود أبطال الفلوجة إلى أحضان الوطن النجيب الحاني ، فيلقاهم لقاء المحب المزهوّ ، وفي يمناه أكاليل النار للجباه المرفوعة ، وفي يسراه أوسمة الفخار للصدور الجريئة . ثم يقبل بلبه على حماة العز وأباة الذل وسقاة المنون ويقول لهم بألسنة الجموع الوافدة من كل إقليم ، الحاشدة في كل طريق ، الهاتفة في كل مكان :

مرحى ! مرحى ! لله غرس زكا ونشأ كرم وشباب عز ! لا تزال مصر كنانة الله ما دام ثراها طيباً ينبت هذه الأجساد ، ونيلها طهوراً يغذي هذه الأرواح ، ووجوها ساقياً يبدع هذه الشمائل !

كانت هذه البطولة المثلية النادرة لجيش الوادي مكظومة في نفوسه الكبيرة ، لا تجد لها متنفساً ولا منيضاً من سوء الحال ومكر الاحتلال حتى ظُنت به الظنون ، وطارت حوله الريب ، وقال المرجفون من ذئاب الاستعمار وأذناب المستعمر : إن مصر كالحسناء المشتهاة ، جمالها يغري بها ولا يدفع عنها . فلا بد لها من زوج قادر يضمن لها المصير ، ويذود عنها الغير . وأوهموا الناس أن جنودنا دُمى للزينة ، وأسلحتنا لُعب للهو . وساعدهم على هذا الإفك حكومات كنواطير الكرمة أقامها الثعلب ليخدع بها غيره . ثم أخذ يعيث في الشعب ولا يخاف ، ويجأر بالصياح ولا يبالي ! حتى أراد الله للسر المكنون أن يذيع ، وللكنز المدفون أن يظهر ، فقيض لها رجل الأمة النقراشي . وجاءت محنة فلسطين ، فألقى الرجل العظيم في وطيس الحرب بالجوهر الأصيل والمعدن الحر ، فثبت على النار كما يثبت الذهب المصفّى على المحك .

فلله يوم ذوّب النشّ نارُه فلم يبق إلا صارم أو ضُبارم
تقطعّ ما لا يقطع الدرع والقنا وفرّ من الأبطال من لا يسادم

وبقي المعدن المصري وحده في البوتقة ! وقال الغريب : إنها فرصة تبعث بيني وبين مصر المعاهدة المقبورة . وقال القريب : إنها محنة تكشكش قليلاً من غلواء مصر الفرورة ! وقال جيش الفاروق : لا هي فرصة ، ولا هي محنة ، وإنما هي نشيد جديد من ملحمة البطولة التي لا تزال تنظمها مصر . ووقف من قواد روسيا وجنود صهيون وأسلحة أوربا وعمالاة أمريكا وخادمة انكلترا ، موقفه العروف الخالد ، فخيب آمال العدو ، وكذّب ظنون الصديق !

وكانت الفلوجة بؤرة النار وقطب المحنة : احتشدت لها جموع اليهودية وأوربا الشرقية مدربة مجهّزة ، وأحدقت بها قواها البرية والجوية بحجّة مركزة ، وتفجرت عليها قذائف الجحيم من جهاتها الخمس أربعة أشهر واثنى عشر يوماً لم يهادن فيها صهيون المحنق المنيظ إلا ليجدد ما دُمّر من عتاده ، أو ليدفن ما قُتل من أوغاده . وظاهر المحاصرين على المحاصرين اشتداد البرد ونفاد القوت ونقص الذخيرة وانقطاع المدد وإغواء العدو . غير أن قائد الفلوجة سَلّم على هذه الحال لقواد الروس ، لوسمه من العذر ما وسع قائدَ باريس حين سَلّم لقواد الألمان ، وقائدَ برلين حين سَلّم لقواد الحلفاء .

ولكن أسد العرين كان أعرف بأشباله وأبصر بمواجبه وأشعر

الكنيســـة والدولة
فى ظل الشيوعية

للأستاذ عمر حليق

اتجه رأس الحربة السوفياتية إلى المعقل الرئيسى الذى تتركز فيه المعارضة الراسخة المنظمة للفكرة الماركسية والدعوة الشيوعية والتوسع السوفياتى. هذا المعقل هو الكنيسة الكاثوليكية وهى نظام عالمى ثابت الأركان متحد الولاء فى مركزية بابوية تعمل فى تؤدة وخبرة ودقة طالما اشتهرت بها هذه الرهبانيات الكاثوليكية التى تحمل تراث عشرات القرون من النشاط الدينى، وهو فى المجتمعات الكاثوليكية مزيج من شؤون الدنيا والدين لا يقتصر على ناحية معينة فى المجتمع الذى يعيش فى وسطه ولكنه يسعى متعمداً لأن تكون له اليد الطولى فى التوجيه الشعبى عن طريق المدارس وألسنة الرأى العام والكلمة النافذة فى التوجيه الحكومى فى الشئون الداخلية والخارجية بواسطة التكتل الكاثوليكى فى الحياة السياسية.

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية فى يوم من الأيام قاصرة عن تمويل هذا النشاط المحكم لأنها — كما قلت نظام عالمى موفور

بقيامه؛ فوقف موقفه الذى قلّت فى تواريخ الأمم نظائره، ثم أخذ يطلق المنايا على قطعان المحاصرين كلما هاجموه فيجعلهم حصيداً يعجب وجه الثرى، ويتخم بطن الأرض!

وهكذا اختار الله سيد طه وأركان حربه وسائر جنده ليكونوا حجة لمصر على أن صبرها لا ينفد، وعزمها لا يخور، وجيشها لا يقهر!

لقد طلبوا الموت فوجدوا الحياة، وابتغوا الشهادة فظفروا بالمجد، وحاربوا جنوداً فانتصروا أبطالاً، ودخلوا الفالوجة وهى نكرة من نكرات فلسطين، ثم خرجوا منها وهى معرفة من معارف العالم!

حسين فزيات

الوارد يتساند فى اللغات ليسند الأجنحة الهيضة فى هيكله الضخم وهو يضم رعية تبلغ حوالى ٤٠٠ مليون من مسيحيى العالم

فلا غرابة إذن أن تثير محاكمة الكاردينال ميدزنتى هذه الضجة العنيفة لا فى العالم الكاثوليكى فحسب، وله حوالى ثلثى الأصوات فى الأمم المتحدة، بل كذلك فى الثقافات التى بينها وبين الكاثوليكية صراع تقليدى عنيف كالبروتستانتية الأنجلوسكسونية والاسكندنافية. ذلك لأن التحدى السوفياتى لا يقتصر على الكنيسة الكاثوليكية فى محاربته للقيم الدينية. وإنما هدفه هذه القيم نفسها فى أى مذهب كانت، لأنها فى مفهوم الشيوعية: « أفيون الشعب ».

ولموسكو طرق متنوعة فى صراعها مع النظم الدينية. ففى الاتحاد السوفياتى نفسه، لم تجد الثورة الشيوعية فى مستهلها (١٩١٧) صعوبة فى القضاء على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، فقد كانت عناصر التفكك فى المجتمع القيصرى تشمل الكنيسة، فضلاً من أن الكنيسة الأرثوذكسية ليست عالمية وليس لها طبيعة الرسوخ والنفوذ الدولى الذى يتمتع به الفاتيكان. ولما تمكنت العقيدة الماركسية فى نفوس الجيل الجديد فى الاتحاد السوفياتى لم يجد (البوليت بيرو) فى موسكو بأساً من أن يعاد تأليف الكنيسة الأرثوذكسية فى كيان سورى يعالج مشاكل الجيل الوافد من الأرثوذكس الروس بالإضافة إلى أن هذه الخطوة جاءت فى مستهل التوسع السوفياتى الإقليمى مما صبغها بطابع من الدعاية لم يخف على أحد.

أما حالة الثلاثين مليوناً من المسلمين فى روسيا السوفياتية فقاصمة يحيط بها ستار من الكتمان لم يحاول الأزهر — وهو السلطة العليا فى الإسلام — أن يتعرف مبلغ بؤسها. فالاتصال الروحى والفكرى والجغرافى مع هذه المناطق الإسلامية فى القارة الروسية منقطع. وقد بعثت موسكو نماذج من المسلمين الروس إلى الحج على سبيل الدعاية ولكنها أقلت من ذلك. ولم يسمع المسلمين الروسيين صوت فى الأساة التى ألمت ببيت المقدس. وفى تقرير نشرته جماعة من المسلمين القوقازيين المشردين فى معسكرات اللاجئين الأوربية أن النسبة الكبرى من قتلى الجيش الأحمر فى معارك الشتاء الجهنمية (١٩٤٣) ضد الجبار النازى كانت من مسلمى

القوقاز وتركستان والمناطق السوفياتية الإسلامية الأخرى في شرقي آسيا وأوسطها . فقد قدم السوفيات زهرة الشباب الروسي المسلم طعما لآلة الحرب السوفياتية في مستهل الهجوم الصيف الذي طوح بحملة هتلر ، وكانت هذه أكبر تضحية في الأنفس قدمها الروس في الحرب المنصرمة .

على كل حال فإن ظروف الإسلام ليست خيراً من ظروف المسيحية في منطقة النفوذ الشيوعي في أوربا وآسيا .

وتنفرد اليهودية بحرية العمل في تلك المنطقة . فاليهود وحدهم محظور السوفيات ، ولهم حرية النشـــاط المذهبي والسياسي (كالصهيونية) والتنقل من روسيا وشرق أوربا إلى أي مكان شاءوا خارج ما يسميه الشيوعيون « الستار الحديدي » . وأرقام الوكالة اليهودية لسنة ١٩٤٧ تشير إلى أن ٨٩ بالمائة من يهود فلسطين هم من اللاجئين .

أما الكاثوليك في الاتحاد السوفياتي نفسه ، فقلة ضئيلة لا تتجاوز بضعة آلاف . ولكن الصراع بين الكومنفورم « الشيوعية العالمية » والفاتيكان يزداد حدة يوماً عن يوم في الدول الكاثوليكية التي يسيطر عليها الشيوعيون إما بالغزو المسلح أو بموجب معاهدات يوقعونها ويبطلونها ، أو بواسطة الانقلاب الثوري كما حدث في تشيكوسلوفاكيا

والدول الكاثوليكية في المعسكر السوفياتي هي :

	مجموع سكانها	عدد الكاثوليك
بولندة	٢٤ مليوناً	٢٢ مليوناً
تشيكوسلوفاكيا	١٢½ مليوناً	٨½ ملايين
المجر — هنغاريا	٩ ملايين	٧ ملايين

وهناك أقليات في رومانيا وبلغاريا لا تبلغ هذه النسبة المرتفعة

والطرق العملية التي تلجأ إليها الشيوعية لمحاربة الكنيسة في هذه الدول تختلف في بعض أوجه التنفيذ ؛ ولكنها تتحد في مبلغ العداء والتحدي . وهذا باعتراف ستالين حين قال في إحدى خطبه :

إن الحزب (الحزب الشيوعي الروسي) لا يستطيع أن يقف على الحياد إزاء العقيدة الدينية ، وأنه يشن حملة على الدين وعلى كل أنواع التحامل المذهبي ، فهذه هي أفضل وسيلة لتقويض النفوذ الذي يمارسه رجال الكهنوت ويتصرون « الطبقات الاستغلالية » .

فلم يفعل الشيوعيون في بولندة ضد الكنيسة الكاثوليكية ما فعلوه في روسيا ورومانيا مثلاً حيث قيد نشاط الكنيسة الكاثوليكية في التوجيه الشعبي والحكومي وجردت من صلاحيات التعليم والتوجيه السياسي وجعلت دائرة حكومية مقيدة بالتعليمات شأنها شأن الدوائر الحكومية الأخرى في الناحية العملية إن لم يكن في المظهر الخارجي . ثم حملت الأساقفة الكاثوليكية على اعتناق الأرثوذكسية والتخلص من الولاء للفاتيكان هذا على الأقل ما تردده مصادر الحلفاء من أنباء شرق أوربا .

أما في بولندة حيث للكاثوليكية رسوخ متين في الأكثرية الساحقة من السكان ، فقد أحجم النظام الشيوعي القائم هناك عن الإمعان في سياسة القمع والعنف مع الكنيسة الكاثوليكية ، فقد أبقى لها بعض الحرية والنفوذ في التعليم والنشاط الاجتماعي ، إلا أنه قيدها في المجال السياسي بمشروع في السنة الماضية يسلخ منها ممتلكاتها الواسعة مما جعلها تعجز عن القيام بمصاريف التعليم والمعاهد الخيرية محاولا بذلك إبعاد الثقة بينها وبين القوى الشعبية المؤازرة لها المتحمسة للدفاع عنها . وحين انتصرت القيادة الكاثوليكية العالمية في الفاتيكان لكنيسة بولندة وضع الشيوعيون العراقيل في وجه هذه المساعدة وتركوا هذا الجناح المهيض من العالم الكاثوليكي يعيش على تبرعات الزائرين البولنديين في بلد يوجه الاقتصاد فيه نحو الماركسية الشاملة مما يجعل مبلغ العون الشعبي المؤسسات الحديثة شحيحا ضئيلا مما سيؤدي إلى تقييد نشاطها التقليدي .

وفي تشيكوسلوفاكيا اتخذت الكنيسة الكاثوليكية موقفاً سلبياً في النظام الشيوعي الذي استولى على الحكم ، ولكن كاثوليك تشيكوسلوفاكيا ليسوا خيراً من إخوانهم في بولندة .

أما في هنغاريا ، فقد كان التحدي في أعنف مظاهره في بلد أكثر من ثلثي سكانه من أتباع الكاثوليكية ، فقد صادرت الدولة الشيوعية أموال الكنيسة عملا بقوانين توزيع الأراضي على صغار الزارعين ولم تترك الدولة لمؤسسات الكنيسة الخيرية سوى مخصصات تافهة ، وحددت نسبة للطلبة من الرهبان في

المدارس الأولية والثانوية التابعة للكنيسة ، ومنعت التعليم الديني إجمالا في مدارس الدولة والمعاهد الأهلية . وقد حمل الكاردينال مندزنتي وكيل البابوية في بودابست لواء التحدي لهذه الإجراءات مما أدى إلى عاكسته على النحو الذي تناقلته الأنباء .

والاتهامات التي عزيت إلى الكاردينال الهنغاري أربعة :

١ — تعاونه مع الأوساط الأجنبية (الفاتيكان وسفارة أمريكا) ضد الحكومة الهنغارية .

٢ — رياسته لمنظمة تسعى لقلب نظام الحكم .

٣ — متاجرته بالعملة الأجنبية (لعلها المساعدة التي يتلقاها من الفاتيكان) .

٤ — عداوته لليهود . فالعنصر اليهودي في النظام الشيوعي القائم في هنغاريا وفي كل مكان واسع النفوذ متمكن في مراكز التوجيه .

وهذه الاتهامات في حد ذاتها تظهر طبيعة الدفاع الذي تهيئه الكنيسة الكاثوليكية ضد التحدي الشيوعي .

فالفاتيكان لا يترك أجنحته المبسوطة في منطقة النفوذ الشيوعي تصارع منفردة ، وإنما يقدم لها المونة المادية والمعنوية بواسطة البابوين الدبلوماسيين للدول الغربية في عواصم الحكومات الشيوعية . ويبدو أن الولايات المتحدة بحكم الصلحة هي رسول الفاتيكان لأتباعه في المنطقة الشيوعية

وهذه الاتهامات كذلك تدل على أن الكنيسة الكاثوليكية في صراعها مع الشيوعية لا تقتصر على التربية الدينية ، فهي ترعى منظمات سياسية دنيوية الوسائل كمصبة العمل الكاثوليكي التي أنشأها البابا بنديكت الخامس عشر قبل ثلاثين عاماً ، وهي شبكة من الهيئات الشعبية تجند القوى الشعبية لنصرة الكنيسة وتتكلم باسمها في الشؤون المدنية ، وهي مرتبطة مع بعضها على يد الفاتيكان وإدارته المركزية في دقة وإحكام .

وقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بخطورة التكتل العمالي واحتكار اليساريين الماركسيين لهذا التكتل فشرعت تنافسهم ، ففي كل مجتمع كاثوليكي نقابات للعمال الكاثوليك توحي إلى الطبقات العاملة أن الكنيسة نصيرة للعمال ، وأن نصرتها لا تقتصر على الخلاص الروحي ، بل تتناول كذلك الإنعاش المادي عن يد التنظيم العمالي وما يستلزمه من ضمانات اقتصادية واجتماعية ، وهذا النشاط وإن يكن خارج سيطرة الكنيسة المباشرة ، إلا أنه يعمل بإلحاحها وبنال ركنها وبابي دعوتها عند الحاجة .

أما موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود في صراعهم مع الشيوعية الدولية ، فهو غامض ودقيق ، فمن التهم الموجهة إلى الكاردينال الهنغاري تهمة التحريض على اليهود . وقد حوكم من قبل عدد من الزهبان الكاثوليك في بولنده ورومانيا بنفس التهمة . والعداء لليهودية العالمية يقرأ بين السطور في المنشورات والصحف الكاثوليكية ، ومع ذلك فلا يتخذ هذا العداء على خطورته طابع التحدي العلني (وقضية العدوان الصهيوني على الأماكن المقدسة أقرب مثل على ذلك) ، وذلك لأسباب عدة ، منها أن تسرب النفوذ اليهودي إلى ألسنة الرأي العام الدولي يجعل الكنيسة الكاثوليكية تتفادى إثارة غضبه ، وخصوصاً في الدول الأنجلوسكسونية لئلا تتهم حملتها (أي الكنيسة) على الشيوعية بالعداء المذهبي والعنصري ، وهو « وباء » أحاطته اليهودية العالمية بحاجز من الأشواك الفكرية ، فأصبح وصمة يهدد بها في الحضارة المسيحية المعاصرة كل من حدثته نفسه بالكشف عن خفايا الإجرام اليهودي في عالمه العالمي .

وقد وجد الكاثوليك أنفسهم في العالم البروتستانتي مرغمين على إسقاط هذه الناحية اليهودية في صراعهم مع الشيوعية الدولية لئلا يجمن النفوذ اليهودي القوي في ألسنة الرأي العام في إثارة الوقيعة التقليدية بين الكاثوليكية والبروتستانتية . وقد ظهرت بوادر هذه الوقيعة من جديد في تصريحات بعض القساوسة البروتستانت الأمريكان في تعليقاتهم على عاكمة الكاردينال الهنغاري ، وكادت هذه النزعة تنسع لولا أن أقدمت حكومة شيوعية أخرى هي بلغاريا على اعتقال ١٥ قسيساً بروتستانتيا ، فقضت بذلك على إحداث المتفكرين البروتستانت للضجة الكاثوليكية .

وقد استفادت القيادة العسكرية الغربية من حدة هذا الصراع الديني بين الشيوعية والدين لتكسب لها عوناً أدبياً في البرنامج الحربي الهائل الذي يعده الآن المعسكر الغربي للمعركة الفاصلة .

(نيويورك)

عمر عليي
معهد الشؤون العربية الأمريكية

على رسال أمر :

الفـــــدائية الأولى (*)

للسيد عمر الخطيب

« في تاريخنا الزاهر نساء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامي واسع » .

— ١ —

خرج محمد يستقبل وفد (يثرب) وقد بدت على وجهه متاعب ما يكابد من عنت وأذى ، ومعاندة واستهتار ، من هذه العصبة الفاجرة من قريش ، التي ألبت عليه القبائل ، وأغرت به الصبيان والسفهاء ، ودفعت إلى هجوه الشعراء ، يتعنونه تارة بالكاهن والساحر ، وطوراً بالمجنون والشاعر ، وهو صابر على أذاهم ، راض بقضاء الله فيه ، يتسع قلبه الكبير لهذه المكاره كلها ، وتطوى نفسه العظيمة على العبث الذميم ، فهو يمشي على الأرض هوناً ، وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً ، وإذا أوسعه السفهاء شتما والصبيان رجما رفع يديه إلى السماء وقال (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

وحين لمح صلى الله عليه وسلم الوفد اليثربي الكبير ، اختفت من وجهه سحابة الألم ، واستقبله باسما مرحباً ، وجلس يحدثه عن دعوته ، ويبين له مبادئ رسالته ، ويحثه على الصبر والشجاعة والتضحية ، ويعلن له أن شريعته لا ترضى بالظلم والسيودية ، ولا تقر الشرك والأوثان ، وتنفر من البغي والعدوان ... فإذا بالوفد يخشع ، وبالعيون تدمع ، وبالقلوب تجب ، وبالنفوس تصفو ، وبالأرواح تصفق ، فيتقدم الوفد اليثربي من الرسول مصافحاً مبايعاً ، يبايعه على أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن يأمر بالمعروف ، ويسعى في الخير ، ويدعو إلى الله ويضحي في سبيله بالمال والنفس ... [1] .

وتقدمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك امرأة رزان ، تمشي على استحياء ، ويكسو محياها خفر المؤمنة التقية ، وصبر الأم الحنون ، وجلال من تملكت الخشية قلبه ، وبسالة من باع في سبيل الله روحه ... تقدمت تبايعه محمداً على الإيمان والتضحية والإقدام .. فبارك صلى الله عليه وسلم عهدها ، ودعا لها ، وأمرها أن تكون رسولا إلى ذاتها وأترابها ، تدعوهن إلى الإيمان ، وتفدوهن بلبان الإسلام ، حتى تجلى نفوسهن ، وتطهر قلوبهن ، وتسمو مكانتهن ، ويذلن حقوقهن ...

— ٢ —

بينا (أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية) تنتقل من دار إلى دار ، مبشرة بالإسلام ، داعية إليه نساء العرب ، تحضهن النصيحة ، وتزف إليهن البشرى ، وتحثهن على الخير والمعروف .. وإذا بصوت النفير ينساب من جوانب المدينة ، ويصل إلى أذنها ضئيلا خافتاً ، فيفزع فؤادها ، ويهز جوانب نفسها ، فتخف مسرعة إلى بيتها ، لتعرف الخبر من أهلها ، فإذا بها تفاجأ برهط من الصحابة مقبلين ، وقد لبسوا دروعهم ، وتقلدوا سلاحهم ، فعلمت (أم عمارة) أنها الحرب ، فانبلجت أسارير جبينها ، واستيقظت مشاعر فؤادها .. وأعذت السير حتى دخلت دارها ، فألفت ابنيها وزوجها يجلون سيوفهم ، ويصلحون لأمتهم ، ويسرجون جيادهم ، فانفرجت ثناياها عن ابتسامة الرضى والفرح ، وأقبلت على ابنيها تعانقهما وتقبلهما قبلة الوداع ... وهنا صاح بها هاتف من ضميرها الحي المؤمن أن اذهبي يا أم عمارة مع الرسول في غزوته ، تضمدين الجرحى ، وتعدين السقاء ، وتصلحين من شأن المجاهدين .. فلم تشعر إلا وقد انصرفت عن ابنيها ، وراحت تعدو نحو المجد ، لتلقي إلى الرسول بدخيلة نفسها ، وأمنية فؤادها ، لعله يسمح لها فتنال الشهادة في سبيل الله ؛ وتضع في بناء الإسلام لبنة المرأة الشهيدة (والفدائية الأول) ...

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم عمارة بالخروج لغزوة

(*) في العدد ٧٧٩ من الرسالة قصة الفداء الأول أنس بن النضر) وهذه قصة الفدائية الأولى (أم عمارة المازنية) .

(١) تلك هي بيعة العقبة .

(أحد) مع زوجها وابنها ، فرجعت فرحة جذلة ، يرقص فؤادها طرباً ، وتزغرد روحها سروراً ، وأعدت للخروج عدته ، فجمعت العصائب ، وأصلحت الراشف ، وخرجت تحمي النفس بالشهادة ، وترنو إلى الجنة ، وترقب من وراء هذا النفع الثائر النصر المبين .

— ٣ —

شمرت الحرب عن ساقها ، وحمي الوطيس ، واحمرت الأحداق ، ولم يمض غير قليل حتى التحم الفريقان : جيش محمد وجيش أبي سفيان ، فجاجات السماء بالتكبير ، وصدق فرسان الإسلام الحملة ، وأعملوا في رقاب المشركين السيوف ، وثبتوا ثباتاً اخلخلت له قلوب أعدائهم ، وزلزلت قوائم ، ووهنت عزائمهم وإذا بهم يولون بالفرار ، أمام هذه الوثبات الجبارة من هذه الأسود المؤمنة . وظن الرابطون على الجبل أن المعركة قد انتهت ، فانصرفوا إلى الغنائم ، وكانت هذه فرصة لجيش قريش ، فكر راجعاً وعزم على أن يمحو الإسلام ، ويبطش بمحمد ، واستماتت المشركون في الهجوم ، وعلوا أنفسهم بالحياة بعد الموت ، وبالنصر بعد الانهزام ...

رأت أم عمارة كتيبة من الأبطال المغاوير ثابتين حول محمد يردون عنه ، ويقاتلون دونه ، وقد آلوا أن يفدوه بأرواحهم ، ويموتوا أمامه عن آخرهم ، فثارت بها حمية الإسلام ، وأيقنت أنها ساعات فاصلة في تاريخ هذا الدين ، وتمثلت أمامها الجنة الوارفة الظلال بسلسبيلها ونعيمها وخلودها ، ورأت أن ليس بينها وبين الجنة وما أعد الله فيها للشهداء إلا أن تجود بهذه الروح ، وتهرب من هذه الدنيا ... وذهبت تطوف بخيالها في جوانب هذا العالم المنشود ، وتمتع الروح بهذه الأماني العذبة ، والآمال العطرة ... ولم يردها إلى الواقع التي هي فيه إلا صياح قريب تراءى إلى أذنها ، وصوت قوي يقول (دلوني على محمد لا نجوت إن نجا) . فنظرت أم عمارة فإذا (بابن قميئة) يعدو والسيف بيده قاصداً رسول الله ، فأظلمت الدنيا في وجهها ، وربت ربوة شديدة ، وزأرت زئير اللبوة دبس عريتها ، وانتضت حسامها البتار ، وأقبلت تعترض طريق ابن قميئة ... وتستقبل ضرباته بصدرها وكتفيها ، حتى ردت هذا الوحش الهائج عن محمد ، وأكرهته على الفرار حتى ليقول الرسول صلوات الله عليه (ما التفت يميناً وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني) .

ورأت أم عمارة ابنها ، وفي ذراعه جرح ينزف الدم فأقبلت نحوه تعصب جرحه وتضمده ، ثم تحمزه إلى العمل ، وتلقي عليه دروس الصبر والبطولة فتقول : (قم يا بني فضارب القوم وجاهد في سبيل الله ...) فيقوم الفتى الباسل ، ترب الشجاعة ، والدة الإقدام ، ويمشي نحو سيف ملقى بجانبه ، ليعاود الكر والفر ، ويقاتل في سبيل الله . وهنا تمتد من رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة فيرى هذا المشهد المؤثر فيمتلئ قلبه إكباراً وحباً ويقول : (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟) ويلتفت عن يمينه فيرى رجلا مقبلا يخب في سيره ، ويلتفت يمنة ويسرة فيقول الرسول : (يا أم عمارة هذا الذي ضرب ابنك) وما إن سمعت أم عمارة نداء الرسول حتى اهتز كيانها ، ووثب جنانها ، وأسرعت تعترض طريقه ، وقد آلت أن تثأر لابنها ولإخوانه الذين جرحوا واستشهدوا في سبيل الإسلام ، ثم شهرت في وجهه سيفها وضربت به ساقه وصدره ، فوقع قتيلا يتخبط بدمه ...

ورأى رسول الله هذه البطلة تثأر لابنها ، وتقتص من جرحه فتملكه إعجاب شديد ، وابتسم حتى بدت نواجذه وقال لها : (استقدت يا أم عمارة ، الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك) .

ولم تكد أم عمارة تجهز على فريستها ، وتمسح حد سيفها ، وتلقي به في غمده ، حتى سمعت تصايحاً ، ولمحت غباراً ، ونظرت فإذا بها ترى ثلة من مشركي قريش ، قادمين نحو محمد ، وفي عيونهم حنق وشر يريدون قتل الرسول واستئصال المدافعين عنه فتحسست مقبض سيفها ، ثم سلته من غمده ، وعلمت أن حديثه لم ينته ، وأن لسانه لن يسكت ، وأنه ما زال به شوق إلى الدم ، وشغف بأعناق المشركين فاستلته وصاحت (الله أكبر الله أكبر) وهمت أن تعدو نحوهم ... لتؤدبهم مرة أخرى ، وترجع برأس قائدهم الطاغية ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مولياً ومعه ترس فصاح به : (ألق ترسك إلى من تقاتل) . فألقى الرجل ترسه وتناولته أم عمارة ونهضت إلى المشركين . وهنا أقبل عليها

فاستقبلت ضربته بالترس ، وأهوت بضربة قوية على عرقوب فرسه فوقع على ظهره ، يفحص بقدميه . وخشي الرسول أن ينهض هذا الدائر فيقتل أم عمارة فصاح بابنها (يا ابن أم عمارة ، أمك أمك فماوتها) فانقض الفتى سيفه وتقدم من الفارس الدائر وعاون أمه على القضاء عليه ولم يتركاه إلا جثة هامدة ...

— ٤ —

انصرف (ابن قميئة) إلى صحبه بعد أن ردته أم عمارة خاسئاً ذليلا ، يحمسهم ، ويقسم عليهم باللات والعزى ، أن يقتلوا محمداً ويستأصلوا دعوته ، ويبيدوا صحابته ، وينصروا آلهتهم ... وما زال بهم حتى أثار حفائظهم ، وأذكى قلوبهم ، وأحمى دماءهم فقاموا يقصدون محمداً ...

ورأت أم عمارة ابن قميئة مقبلا قد عاد ثانية مع أصحابه بعد أن ردته على أعقابه خاسراً ، فعلمت أنه قد بيت أمراً وأراد شراً فلم تجزع ولم تجبن ، بل تطلعت نحو السماء ، تستلهم الدين والقوة ؛ وتقدمت تدافع عن الرسول ، فتجندل الفرسان ، وتصرع الشجعان ، وتتلقى الضربات ثابتة الجنان ، صابرة راضية مطمئنة حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً ، ولم ترجع إلا مرفوعة الهامة ، موفورة الكرامة ، قد ردت مع إخوانها عدوان المشركين ودافعت عن قائدها العظيم ... والرسول الأمين ...

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الدماء تتدفق من جراحها فصاح بابنها (أمك أمك . اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ...) وسمعت أم عمارة رسول الله يثني عليها هذا الثناء ويطري عملها ويبارك جهادها ، فطابت نفسها ، وقرت عينها وقالت (يا رسول الله ، ادع الله أن يرافقك في الجنة) ثم تركت لدموعها الحديث . وهنا رفع محمد يديه إلى السماء وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال : (اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة) ، فقالت أم عمارة : (ما أبالي ما أصابني من الدنيا بعد هذا الدعاء) ثم ألقت رأسها في حجر ابنها ، ونامت متأثرة بجراحها ، فخورة بجهادها ، قد اطمأن ضميرها ، وقر فؤادها ... ثم أرخى الليل جناحه ، وغمر المدينة بظلام وسكون ...

— ٥ —

نظرت (أم عمارة) وكان لا يزال رأسها في حجر ابنها فرأت الشمس ساطعة ، والنهار مشرقا ، وسمعت المنادي يدعو إلى الجهاد والناس يسرعون في الاستعداد ، والمدينة في حركة دائبة ، وعمل مستمر فعاودها الحنين للقتال ، وصاح بها هاتف من ضميرها مرة أخرى يقول : (إلى حمراء الأسد(١) يا أم عمارة ... إلى الثأر من المشركين إلى أعداء كلمة الله .. ورفع منار الإسلام) فهبت واقفة وأرادت أن تخطو إلى الأمام لتحمل سيفها وتهاجر إلى الله وتجاهد في سبيله ، ولكنها عجزت عن المسير ، وأقعدتها الجروح الدامية فسكتت تبكي وتندب حظها العاثر ، وتعلل النفس بالجهاد القريب تحت راية محمد ، وانصرف أهلها يضمدون جروحها ، ويخففون عنها ، حتى أقبل الليل ... فنامت دامية الجسد حسيرة الفؤاد ...

القاهرة

عمر الخطيب
(فتى الفيحاء)

(١) هي الغزوة التي تلت غزوة أحد

عالم الـــذرة
أو
الطاقة الذرية والقنبلة الذرية

تأليف الأستاذ العالم نوبل الحراد

كتاب صدر في وقته ، يشرح لك ما لا بد أن تعرفه عن الذرة ونواتها وفلقها وطاقتها وآثارها في مستقبل العلم ، وعن القنبلة الذرية وتجاربها وانفجارها وآثارها في مستقبل الإنسان .

يطلب من دار الرسالة . ومن المؤلف بشارع البورصة الجديدة رقم ٢ ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٠ قرشاً بخلاف أجرة البريد .

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية في شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومي

— ١ —

منذ انتقل إلى جوار ربه الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم وأنا أشعر بحماس يدفعني إلى الكتابة عن عاطفته الدينية ، فقد قرأت الكثير من روائعه المبدعة ، فلمست فيها روحاً حية متوثبة ، وكان للنغم الساحر الذي تردده قيثارة الشاعر روعة عجيبة ، فهو يرتفع بالقارئ إلى أفق رحب فسيح ترفرف فيه أجنحة الفضيلة والعزة ، ويذكره بما كان للأمة العربية في عهدها الغابر من مجد باذخ قامت دعائمه على البسالة والكرامة فيحرك العاطفة ويوقظ الشعور ...

والحق أن دراسة محرم رحمه الله من ألزم اللوازم في عصر ماجن مستهتر ، فقد عصفت بروس بعض الشعراء في الشرق والغرب فوازع خبيثة تدفعهم إلى الفوضى الخلقية والتحلل الإباحي ، زاعمين أن الشاعر الحق هو الذي ينساب وراء غرائزه وميوله ، وأن العبقرية توقع صاحبها في مزالق مريبة ، بل إن منهم من يتعمد الوقوع في البغي ليكون أحد هؤلاء العباقرة المتحللين ! ! وكم جر الاستعمار الغاشم على أبناء الشرق فضائحه وغوائله ، فزين لهم الخبيث ، وبغض إليهم الحسن الجميل ! .

نشأ الشاعر في بيت ريفي متدين فقد كان والده حريصاً على تثقيفه وتهذيبه ، فأحضر له في دور الطفولة من قام بإرشاده وتوجيهه لحفظ القرآن ودرس النحو والعروض واللغة ، وأكب على استظهار النصوص الأدبية ، ففتحت أكمام شاعريته الغضة ، وبدأ يتغنى بمقطوعات بدائية تنبيء عن ملكة واستعداد ، وقد اتجه بنوع خاص إلى الثقافة الدينية فقرأ الحديث الشريف ، وطالع السيرة المطهرة ودرس التاريخ الإسلامي المجيد ، ثم عكف على قراءة الصحف والمجلات فألم إلماماً مفيداً بسياسة أمته ووطنه ، وشاهد في ميعة صباه ما يدبره المستعمرون من مكايد خاتلة للعالم الإسلامي ، فتأوه لمصابه الفادح ، وأطلق لشاعريته العنان فتغنى بمجد الإسلام وحث على استرجاع ما فقده الشرق من عظمة شاهقة وجاه عريض .

وإذا كنا نعتبر محرماً شاعر العاطفة الدينية في عصره دون منازع فإننا نتخذ منه دليلا يبطل ما زعمه الأصمعي من أن الشعر في جملته مكسب صعب لا يسهل إلا في الشر ، وتلك دعوى زائفة وجدت مكانها في العقول لخلوات أنظار الشعراء عن الدعوة إلى المثل العليا ، والتسدح بالأخلاق الدينية الرفيعة ، وأنت تطالع الدواوين الشعرية فتجد ما قيل في المجون والخلاعة أضعاف ما قيل في التصون والاحتشام وبديهي أن الشاعر المتمكن المطبوع يستطيع أن ينظم — بقوة وإتقان — في شتى الأغراض التي تأخذ بمجامع قلبه ، وتسيطر على خوالج نفسه ، سواء كانت تتجه إلى الخير أو الشر ، فالدار إذن على قوة الشاعر وموهبته ، ومن يستطيع نظم الرقائق الفاتنة في الليل الدامس ، لا يعجزه أن يرسم الصور الساحرة للصباح الوضيء ، وها هو ذا محرم قد اندفع وراء عاطفته الدينية اندفاعاً حميداً ، فجاء شعره وذجاً حسناً للشعر المثالي الرصين .

ونحن حين نشيد باتجاه محرم وجهة الخلق والدين ، لا نعني بذلك أنه عقد في ديوانه فصولا خاصة بالدعوة الإسلامية ، ولكننا نؤكد أن عاطفته الدينية قد ارتسمت بوضوح في شتى الأغراض الشعرية التي تحدث عنها الشاعر الكبير ، فأنت تقرأ مدائحه ومراثيه واجتماعياته وسياساته فتجد كل بيت ينطق بإيمان قائله ، ويحدد الهدف الخلاق الذي يدعو إليه في حرارة ، وإذا رزق الشاعر إيماناً فلا بد أن يرتسم في مرآة شعره ، فهو إذا جال في إحدى سبحاته سيطرت عليه عاطفته المخلصة ، فوجهته أكمل توجيه حتى يصل إلى المرفأ الأمين .

وكنت سألت من أثق بهم من خلطاء محرم ورفقائه عن حياته وأخلاقه فمررت بما علمت من مروءته ونبله ، حيث كان يبذل ما يملك — على ضآلته — في معونة المستعين ، كما كان يحافظ على فرائض العبادة من صلاة وصيام . ثم هو إلى ذلك صفوح متسامح لا يؤاخذ مسيئاً بنقيصة ، ولا يميل إلى الجدال والمثرثرة في غير طائل . ويمكننا أن نقول إنه اتخذ كتاب الله إماما يأتم بأوامره ،

ويحيد عن نواهيه ، وإنه ليعلن ذلك فى صراحة إذ يقول :

أقول لصاحبيّ — وعاهداني — كتاب الله بيننا وبيني
فكونا صادقين ولا تخونا فإن لنا لإحدى الحسنيين
ولست ببائع نفسي وديني ولو أوتيت ملك الشرقين
لهـــذا سلطة ولتلك أخرى فمـــا بالي وبال السلطتين
سأملأ هـــذه الغبراء مجداً وأترك أهلها صفر اليدين
على التاريخ بعد الموت حق وعنـــد الله يوم الدين ديني

وقد أباح الشاعر لنفسه أن يتمدح بمروءته وتقواه ، ولسنا نؤاخذه فى ذلك فقد نشأ فى عهد إباحى ، وجد فيه من يتشدقون بآثامهم المخزية ويجاهرون بمعاصيهم المندية ، فإذا ألم بهم داع إلى الحق لووا رءوسهم ساخرين ! ! فلا مناص من أن يجاهر المهذب العف بشمائله ، ليقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . ولقد صوّر الشاعر أخلاقه ، وشرح عواطفه تشريحاً صادقاً حين قال :

من أيادى الله أنى لم أخن عهـــده الأونى أروم المغنما
راودتنى عصـــبة عن حقه فأبى الحق الكريم المنتمى
عفة تقذف بى عن همـــة تقذف النسر وترمى الرزما
لا أرى الندر وإن جشمنى صرف دهر ظـــالم ما جشما
مرحباً بالبؤس فى أســـبابه عفة اليائس عن أن يأثما
ما يريد الدهر من مستهـــل ما يهول الخطب إلا افتحما

وسنوجز الحديث إيجازاً ، فنترك كلام الشاعر عن نفسه ونميل بشىء من التحليل إلى بعض الأغراض الشعرية التى جال فى حلبتها جولات موفقة . وفى رأيى أن قصائد عرم السياسية والاجتماعية والتاريخية تكفى الباحث المنصف فى تكوين رأى صادق فى عاطفته الإسلامية ، ونبدأ بالحديث عن سياسياته فنقول :

— ٢ —

كان للخلافة العثمانية فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ظل يتبسط على الدول العربية المتجاورة ، ولئن تضاءل النفوذ الاستعمارى فى شتى بقاع الشرق حقباً متوالية ، فقد كان أبناء هذه الدول ينظرون إلى الخليفة العثمانى نظرة عالية ، فيرون طاعته فرضاً أكيداً يوجبه الإسلام وتمليه العقيدة ، ورغم ما اشتهر به عبد الحميد من العسف والجور والخروج على شرعة الإنصاف فقد لهج بمدحه كثير من الأدباء والشعراء ، إذ كانوا يصرفون النظر عن شخصه ويرون الخليفة فكرة رمزية تقيم العدل وتجدد معالم الدين ، وقد تفانى عرم — جرياً وراء عاطفته الدينية — فى محبة الأتراك فمنح خلفاءهم الود وهاجم أعداءهم بقذائفه الصائبة . وأنت تقرأ مديحه فى السلطان العثمانى فتجده ينظر إليه من نافذة العقيدة ، فيذكره بمركزه الدينى ومقامه الإسلامى ثم يدلف إلى تقديم نصائحه التقليدية فيحث على الوحدة القومية ، وينادى بالجامعة الإسلامية ، وكان للمعارك الحربية التى خاضها الجيش العثمانى صدى تردد فى نفس الشاعر ، فسجل الوقائع اليونانية ، ونددّ بمن يهددون « الرجل المريض » بالثورات الداخلية والفتن الخارجية ، وقد اعتمد الشاعر على خياله البعيد ، فبالغ فى مديح الجنود الأتراك مبالغة تدعو إلى العجب ، وكأنه أراد أن يثوى الروح المعنوية فى الشعوب الإسلامية لجوف الحقائق تجويفاً يناقضه الواقع ، وهو بلا شك مشكور لغيرته وحميته ، وإلا فهل كان الجيش التركى فى رمقه الأخير كما قال فيه ؟

لهم كل يوم غارة تصبح العدى وأخرى تضىء الليل والليل فاحم
إذا نفروا لم ينفروا عن ثمالها ولم يصحروا عن سيلها وهو عارم
بنوها الألى لا يرهبون بها الردى إذا اهتزمت فى حافتيها الزمازم
إذا أقدموا لم يثنهم عن مغارهم غداة الوغى أهوالها والمآزم
معمون فيها يحولون إذا اعتزوا نمتهم قريش فى الحفاظ وهاشم
أولئك أبطال الخلافة تحتمى بأسيافهم إن داهمتها المظالم
هم الماتنوها أن يقسم فيئها وأن تستقى بيضاتها والمحارم
هم الناس لا ما تنكر العين من أذى وتوشك أن تنشق منه الحيازم
وما الملك إلا ما أطالت وأثلت طوال العوالى والرقاق الصوارم

ولقد ظل الشاعر على إخلاصه للدولة العثمانية ، يمجد فى أعلامها ويسهب فى الثناء على مواقفها ، ويعتذر الثوار الداخلين فيذكرهم بمسئوليتهم الفادحة أمام الله إذ يشعلون الفوضى بلا موجب ، ويوقدون الفتنة فى ربوع مضطربة تعصف بها الريح الهوج .

وكم كان الألم لاذعاً فى نفس عرم حين طوى بساط الخلافة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد أفزعه اضطهاد الكماليين

لرجال الفقه والتشريع ، ونقل إليه ما ارتكبوه من غلو فاحش ، حيث وأدوا العاطفة الدينية في وقت أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر . وأذكر أنه نظم في سقوط الخلافة ملحمة طويلة طبعت وحدها في كتاب مستقل ، وكان يهمني أن أستشهد ببعض أبياتها الدامية ، لولا ضياعها من يدي . ولا أدل على حماس الشاعر للأتراك العثمانيين من قصيدته المؤثرة في رثاء والده ، فقد نسي مصابه الشخصي ، وغالبته عاطفته الدينية فترك الأنين والدموع واندفع إلى الحديث في الخلاف القائم بين العثمانيين والإنجليز ، وقلت أن تقدر مبلغ شعور مسلم غيور ، هاجت عاطفته الدينية فأنسته ما وقع فيه من أسى قاتل ، وحزن مرير

هذا وسياسيات محرم تتسم بطابعها الإسلامي فدائحه في العزيز حث وتذكير بالآداب الخلقية ، ورجوع بالأمة إلى ماضيها المجيد ؛ وقصائده في الحرب العالمية الأولى تنديد بالحضارة الغربية المتوحشة ، وتصوير صادق للمسارح الدولية التي تراق فيها الدماء وتتناثر عليها الأشلاء . هذا إلى مقارنة معتدلة بالحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر ، وكيف كانت منارة تشع على العالم بضوئها الوهاج . وحين قامت الحرب الطرابلسية الإيطالية صرخ محرم صرخات مؤرقة ، ولم يشأ أن يقصر شعره على البربرية الإيطالية المتوحشة ، فيكتفي برسم الفظائع الدامية التي ارتكبها المحتلون بالشعب الأعزل المستكين ، بل غمره شعوره الديني في طوفان جارف صخاب ، فتمثل البيت الحرام يرتجف رعباً بمكة ، ويثرب ذات النور الطهور تولول جازعة ؛ ثم استصرخ الغر الميامين من أبطال الإسلام ، فتساءل عن علي بن أبي طالب ، وتطلع إلى خيل الله يقدمها صاحب اللواء ، وتذكر ابن الخطاب في فتوحاته الشامخة وحنّ إلى المقاديم من فهر ومضر وقريش . اسمعه يقول:

أين ابن عم رسول الله يطفئها ... حرباً على كبدي من نارها شرر
أين اللواء وخيل الله يمّمها ... عمرو ويقدم في آثاره عمر
أين المقاديم من فهر ومن مضر ... ومن قريش وأين السادة الغرر
أين الملائكة الأبرار يقدمهم ... جبريل يسبق الهيجا ويبتدر
أين الوقائع تهتز الدروش لها ... رُعباً وتنتفض البيجان والسرر
أين القياصر مقهورين لا صلفا ... نأى بجانبهم عنا ولا صعر
أيطرب البيت أم تبكي جوانبه ... حزناً ويعول فيه الركن والحجر

ويح الحجيج إذا حانت مناسكهم ... ماذا يرى طائف منهم ومعتبر
أين الحماة وقد ضاعت محارمنا ... أين الكفاة وأين الذادة الغير

وهكذا كان التذكير بالماضي سلاحاً باتراً في قبضة الشاعر ، والحق أنه آتى أكله وأثمر في حينه فوثقت الأمم العربية بماضيها المجيد ، بعد أن حاول الاستعمار الغاشم أن يبرزه في صورة نكراء .

وطبيعي أن يكون ندب الماضي البهيج مقروناً بالتحسر على الحاضر الأليم؛ فالصورة الجميلة الشرقة لا تكمل لها أسباب الروعة إلا إذا قرنت بصورة دميمة بشعة ، وحالة الشعوب الإسلامية قد بلغت من الهوان مبلغاً يستدر الدموع ، فكانت الشكوى من انحطاط الشرق ميداناً فسيحاً تجول فيه الأقلام حتى ليجوز لنا أن نعتبره عنصراً هاماً من عناصر الشعر الحية في نهضتنا الحديثة . ومعلوم أن الشعور بالنقص هو الدافع الأول إلى الكمال والتقدم ، فلا مناص إذن من الاعتراف بالواقع الأليم . وكم تضرع محرم إلى ربه راجياً أن يأخذ بيد أمته إلى طريق البر ، وكم سهر الليالي الطويلة يتأمل فيما خيم عليها من غواش حالكة ؟ وكم وقف بين اليأس والأمل لا يدري أيبتسم الدهر للشرق أم تكون الأخرى فيظل الكابوس الأوربي جاثماً فوق صدور المسلمين ؟ ! عواطف مشتجرة متناحرة خلقتها الروح المتوثبة في نفس الشاعر فصيرته في حيرة من أمره إذ يقول :

تفاقت الخطوب فـــلا رجاء ... وأخلفت الظنون فلا وثوق
تطالعنا السنون مروعات ... ونحن إلى أعلتها نتوق
يمر العهد بعـــد العهد شراً ... فأين الخير والسعد الأنيق
نوائب روّع التـــنزيل منها ... وضج القسر والبيت العتيق
بنا من ضارب الخدثان ما لا ... يطيق مضاءه العضب الذليق
كأن جراحه في كل قلب ... شفاه الحنية أو شـــدوق
رويد اليوم والغربان فيـــنا ... أما يقفي النحيب ولا النعيق
وددنا القواعب لو عميـــنا ... وصدت من مصامعنا الخروق
أمض قلوبنا داء دخيـــل ... وهمّ في جوانحنـــا لصيق
وجف الريق حتى ود قوم ... لو أن السم في الأفواه ريق
ورح بالنوائب مســـتطير ... يعاوده التميز والشهيق

ولولا هذه الصيحات المدوية ما استيقظ أهل الكهف في

المغامر العظيم

عهد الإنجليزية

في قُنن الجبال ،
وعلى رءوس الأمواج ،
في منابع المياه ،
وتحت قبور الأموات ،
في غمرة الفيوض العميقة ،
التي يطأطئ « ينشون » لها الرأس ،

الشرق . ولن ألفت القارئ إلى ما في الأبيات السالفة من سلاسة وعذوبة فهي تنم عما يترقرق فيها من جمال فنان ، وتشهد لقائلها المطبوع بالجودة والاقتدار .

ولقد كان الشاعر دارساً لدينه دراسة مستفيضة ، ولم يجنح به هواه — وهو المسلم الغيور — إلى المغالاة والتعصب ، بل كان يضع الأمور في نصابها وضعاً صحيحاً ، فحين يذر « السير نورست » بذور الشقاق بين المسلمين والأقباط ، أدرك عرم مراميه الدنيئة ، فهب يدعو إلى التسامح الديني ويذكر المتناصرين لبادئ الإنجيل والقرآن ، ويشيد بعظمة المسيح ومحمد ، ويرجع القهقرى إلى التاريخ المصري القديم فيصور مجد الفراعنة الزاهر ، ويستشهد بالأهرام الشاهقة ، والمعابد الماثلة ، ويعرض لما كان بين عمرو والمقوقس من عهود ، ثم يهدف إلى المطامع الأوربية وما بيته الإنجليز لمصر من شر يصفف بالعزة ويمحق الكرامة . وقديماً كان التسامح والتواد منهج القادة من المفكرين والمصلحين وبهذه الروح السامية تكشفت خبائث المخلين واتضح الغلب الإنجليزي الماكر فأطرق برأسه إلى الأرض حين أبصر الهلال والصليب يتعانقان في محبة وسلام .

(البقية في العدد القادم)

محمد رجب البيومي

وفرق الصخور الوعرة الشم ،
لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

وحيث لا مكان للدودة تقر فيه وتسكن ،
وحيث لا فضاء للذبابة ترن فيه وتهوم ،
حيث لا يجرؤ الفراش على التحويم ،
خوفاً على نفسه من التلف والبوار ،
فإن الحب — إذا أقبل — مرق في سرعة ،
ولم يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد تعده طفلاً إن نظرت إلى قواه ،
أو تعده جباناً لأنه يجنح إلى الفرار ،
على أن تلك التي يُشرُفها ،
لو اختبأت من ضوء النهار ،
وأقامت على نفسها ألفاً من الحراس ،
فإن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

تخلصاً منه يرى البعض أن يسجنه ،
والبعض يحسبه — يا للمخلوق المسكين — أعمى ،
ولكن أغلقوا عليه ما شئتم ،
فإن الحب الأعمى — كما يحلو لكم أن تدعوه —
لن يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد ترضون النسر على أن يخضع لقبضاتكم ،
أو لعلكم تصرفون كاهن الشرق عن دينه ،
بل ربما زعزعتم اللبؤة من فريستها ،
ولكنكم لن تستطيعوا أن تقفوا في وجه العاشق ،
فإنه لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً .

السيد مصطفى فارزي
ليسانس في الآداب من جامعة فاروق الأول

نصير الدين الطوسى

حامى الثقافة الاسلامية

وتراث العرب الفكرى إبان الغزو المغولى

الأستاذ ضياء الدخيلى

مدرسته ومكتبته فى مراغة ، جهوده الخصبة فى حقول علم الفلك فى مرصده العظيم ، شهادات كبار المستشرقين سيديو الفرنسى ، نلينو الايطالى وليب وسارتون واسمث الأمريكيون .

ما يقوله فيه ابن العبري وابن شاكر وابن كثير ودائرة المعارف الاسلامية وابن الوردى وابن قيم الجوزية .

قال داود اسمث الأمريكى فى كتابه تاريخ الرياضيات ج ١ ص ٢٨٧ . [وفى عصر انحطاط المعرفة فى بلاد الإسلام لا نجد فى القرن الثالث عشر من يستحق أن نخصه بالذكر سوى مؤلف من إيران أنفق سنوات حياته الأخيرة فى بغداد . ذلك هو نصير الدين محمد ابن محمد بن الحسن أبو جعفر وكان من سكان طوس فى خراسان وعاش من عام ١٢٠١ م حتى سنة ١٢٧٤ م وقد نبغ فى علوم مختلفة وألف فى علم المثلثات والفلك والحساب والهندسة وفى تركيب الأسطرلاب وكيفية استعماله] .

فها أنت تجد اسمث يسجل إعجابه بالطوسى وبالظاهرة التى لفتت إليه الأنظار وهى تبريزه فى علوم مختلفة وتأليفه فيها الكتب الخالدة . وقد فات اسمث علوم جليلة أخرى تفوق فيها الطوسى ومنها الفلسفة . فإن كتابه فى شرح إشارات ابن سينا من أنفس الكتب كما شهد له بذلك ذوو الفضل ، وأن دائرة المعارف الإسلامية قد اعترفت له أيضاً بأنه كان علامة فى مواضيع شتى وعلوم متباعدة الأغراض وأنه ألف فيها الروائع النفسية وقالت عنه أنه Polychronicler ومعنى هذه الكلمة صاحب التآليف والتصانيف فى مواد شتى ، وقالت إنه يرجع الفضل فى شهرته وذيوع صيته وراء الدوائر الشيعية لكتبه وتنبيهاته فى العلوم الصحيحة من الطب والطبيعيات (الفيزياء) والرياضيات وعلى الأخص فى علم الفلك والهيئة حيث نال الطوسى أكبر شهرة بأعماله العظيمة فى حقل علم الفلك . وقد كان مديناً فى حصوله على وسائل تنبيهاته الفلكية لشغف خانات المغول بفن التنجيم وعلى الأخص صاحبه هولاكو الذى رغبه فى بناء مرصد كبير فى مراغة جهز بأحسن الأدوات وبعضها استنبط وصنع لأول مرة ووزوده بجماعة كبرى من الراصدين والراقبين . وكان عمر الطوسى عندما ابتدأ ببناء الرصد ٦٠ عاماً وقد بقى ١٢ سنة أخرى حتى أنجز وأتم عمله فى حساب جداول جديدة للكواكب السيارة قامت على الأرصاد والمشاهدات الشاملة . وقد دون استنتاجاته فى كتابه (الزيج الايلخانى) وتناول المقالة الأولى بحث التواريخ ، والثانية حركات السيارات ، وخصصت المقالتان الثالثة والرابعة للأرصاد التنجيمية . ومن مؤلفاته الأخرى نذكر كتاب (التذكرة الناصرية) وفيها تخطيط وعرض لجميع ما فى حقل علم الفلك وقد علق عليها العلماء المتأخرون وشرحوها عدة شروح الخ (راجع al Tusi فى دائرة المعارف الإسلامية الجزء الرابع ص ٨٩٠ من النسخة الإنجليزية) .

وقال المستشرق الفرنسى العلامة سيديو فى كتابه (تاريخ العرب العام) وكان سيديو أستاذ التاريخ فى كلية سان لويس وعضواً فى مجلس الجمعية الآسيوية وفى اللجنة المركزية للجمعية الجغرافية فى فرنسا وسكرتير كوليج دو فرانس الخ .. قال فى (ص ٤١٠) واختلط تاريخ سلاطين آل سلجوق بأخبار الحروب الصليبية منذ القرن الثانى عشر فظلت العلوم فى الشرق مغطاة طيلة هذه الحروب بغطاء لم يرفعه عنه أحد بعد .

وهذا لا يعنى أن الدراسات الجدية هجرت فقد أبصرنا خان المغول هولاكو يجمع فى بلاطه (عام ١٢٥٩ م) علماء اشتهروا بمعارفهم الرياضية والفلكية وأشهر هؤلاء العلماء هو واضع الزيج الأيلخانى نصير الدين الطوسى . وقد وجد هذا العالم فى نعم مولاه الجديد ما يشجعه فأقام مرصد مراغة وجمع بغاية ما هو منثور فى خراسان وسورية وبغداد والموصل من المخطوطات . ولم يأل جهداً فى إكمال الآلات التى يستعملها فى إرصاده .

ومما صنعه إحداث ثقب فى قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها فى مختلف فصول السنة وتعاقب الساعات : وهذا يعنى تطبيقاً جديداً للميل ذى الثقب الذى استعان به العرب منذ القرن العاشر . وعن هذا الميل وذات الحلق الكبرى التى تشابه آلة (تيخو براهة)[1] وأرباع الدائرة المتحركة والكرات السماوية والأرضية وأنواع الاسطرلاب تتألف مجموعة آلات مهمة استعان بها نصير الدين الطوسى .

قال (سيد بو) وساعد نصير الدين فى أعماله مؤيد الدين العرضى وفخر الدين الخلاطى القفليسى ونجم الدين بن دبيران القزوينى وفخر الدين المراغى الوصلى ومحيى الدين المغربى وغيرهم . فأنجز فى (١٢) سنة من الأعمال ما يتطلب (٣٠) سنة على حسب الحسابات الأولى وعلمنا أنه اقتبس الزيج الحاكمى لابن يونس مع إدخال تعديلات مفيدة قليلة إليه ففتح دور إقبال كبير على المرصد وخلص على شاه البخارى والندام Aleaddam (٤) . (كذا فى إحياء الكتب العربية — ولعل الصواب أنه النظام) ونجم الدين ابن البودى — الزيج الأيلخانى ، وصحح هذا الزيج غياث الدين جمشيد بن مسعود الكاشى ؛ فكان معول جميع المدارس الفلكية حتى ظهور ابن الشاطر الذى عدل فى سنة ١٣٦٠ شيئاً مما ارتضاه أسلافه فى النتائج .

يقول (سيد بو) إذن أعاد مغول بلاد فارس إلى المدرسة العربية بعض رونقها ونرى من ناحية أخرى أن (كوبلاى خان) أخا (هولاكوخان) عند ما أتم فتح الصين نقل إلى مملكة ابن السماء رسائل علماء بغداد والقاهرة .

ونلق (كوشوكينغ) فى سنة ١٢٨٠ م أزياج ابن يونس من جمال الدين الفارسى فدرسها دراسة دقيقة وإن عرض (غوتيل)

(١) (تيخو براهه) هو فلكى ألمانى أسس مرصد (أورانبرغ) فى ألمانيا سنة ١٥٧٦ م

قال سيديو عدت الحلقة بين الآلات الكثيرة التى استعملها (تيخو براهة) أول من اكتشفوا شذوذ أعظم عرض للشمس فقد رصد العرب هذا العقوذ قبله بستمائة سنة وعد تعيين الاختلاف الثالث للقمر أهم ما يختفر (تيخوبراهة) وهو من حق (أبى الوفاء) أن ينتزع منه هذا الفخر

لآثار (كوشوكينغ) لم يكن ليكشف القناع عن أصلها . وعلى ذكر سيديو ابتكار الطوسى إحداث ثقب فى قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها فى مختلف الفصول وتقاعب الساعات الخ — بهذه المناسبة نذكر للقارئ الكريم ما نقله ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى الجزء ١٣ من كتابه (البداية والنهاية) عن عظم قبة المرصد .

قال ص ٢٦٧ [إن الخواجا نصير الدين هو الذى كان قد بنى المرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء وبنى فيه قبة عظيمة وجعل فيه كتباً كثيرة جداً] .

وكان ابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م فى مدينة مراغة من أعمال أذربيجان — قد انتقل إليها منذ برهة من الوصل ، روى أخوه برصوما أنه لما فشت التعديات فى نواحى نينوى الخ عليه فى الانتقال إلى مراغة وكان هناك [فى مراغة] مكرماً من خاصة الناس وعامتهم [وإذا عرفنا أن وفاة الطوسى رحمه الله — كانت عام ١٢٧٤ م علمنا أن ابن العبرى توفى بعد الطوسى بـ (١٢) سنة فهو إذن قد شاهد الحركة العلمية فى مراغة] .

وقد قال ص ٥٠٠ من تاريخه [وفى عام ٦٧٥ هـ توفى الخواجا نصير الدين الطوسى الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة : وهو حكيم عظيم الشأن فى جميع فنون الحكمة واجتمع إليه فى الرصد جماعة من الفضلاء المهندسين وكان تحت حكمه جميع الأوقاف فى جميع البلاد التى تحت حكم المغول وله تصانيف كثيرة : منطقيات والاهيات وأوقليدس ومجسطى وله كتاب أخلاق فارسى فى غاية ما يكون من الحسن جمع فيه نصوص أرسطو وأفلاطون فى الحكمة العملية ، وكان يقوى آراء المتقدمين ويحل شكوك المتأخرين والمؤاخذات التى أوردوا فى مصنفاتهم ثم يذكر أعوانه على الرصد وقد ذكر من محيى الدين المغربى ما نقله له من كيفية خلاصه من ذبح التتار له فقال : كان محيى الدين المغربى مع الملك الناصر فلما أراد المغول أن يقتلوه وجماعته قال محيى الدين لهم : إنى رجل أعرف علم السماء والكواكب والتنجيم ولى كلام أقوله لملك الأرض (يعنى هولاكو) يقول ابن العبرى — قال محيى الدين

وأرسل صلاح الدين يطلب مدداً جديداً من الأسطول ، فمنى الفرنج بتدمير أسطول لقتاله ومنعه من دخول عكا ، واشتد أسطول صلاح الدين فى قتال أسطول العدو ، وسار الناس على جانب البحر تقوية للأسطول وإيناساً لرجاله ، والتقى العسكران فى البر والأسطول فى البحر ، وجرى بينهما قتال شديد انتهى بانتصار الأسطول المصرى ، وأخذ من العدو الشواني ، وقتل به ونهب جميع ما فيه ، وظفر من العدو بمركب أيضاً كان واصلاً من قسطنطينية ، ودخل الأسطول المنصور عكا ، وكان قد صحبه مراكب من الساحل فيها ميرة وذخائر ، وطابت قلوب أهل البلد ، وانشرحت صدورهم ؛ فإن الضائقة كانت قد أخذت منهم (١) .

ولما اشتد الأمر بعكا ، وأدار الفرنج مراكبهم حولها حراسة لها من أن يدخلها مراكب المسلمين ، وقويت حاجة من فيها إلى الطعام والميرة ، ركب جماعة من المسلمين فى بطسة ، وتزيوا بزى الفرنج ، حتى حلقوا لحاهم ، ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث ترى من بعد ، وعلقوا الصلبان ، واستطاعوا بهذه الحيلة دخول عكا سالمين (٢) . وفى مرة أخرى قدمت إلى المحاصرين من مصر ثلاث بطس مشحونة بالأقوات والميرة وجميع ما يحتاج إليه فى الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء ، وقد فنى الزاد ولم يبق عندهم ما يطعمون ، فلما دنت من عكا خرج إليها أسطول العدو يقاتلها ، ولكنها استطاعت أن تفلت وتصل سالمة إلى عكا ، وتلقاهم أهلها تلقى الأمطار بعد الجدب واستاروا ما فيها (٣) ، وحاول الفرنج وهم يحاصرون عكا حرق الأسطول المصرى بها ، والاستيلاء على برج فى الميناء حتى يحرسوه ، ويحولوا دون دخول المراكب بالميرة إلى المدينة ، فأعدوا بطسة ببرج ملئوها حطباً يشعلونه ناراً ويقذفونه على برج الميناء لقتل ما فيه وأخذه — وبطسة ثانية ملئوها حطباً ووقوداً على أن يدفعوا بها ، حتى تدخل بين البطس الإسلامية ، فيلهبوا الوقود فيحرق البطس الإسلامية ، ويهلك ما فيها من الميرة ، وجعلوا فى بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو ، بحيث يكونون فى مأمن لا يصل

(١) الروضتين جـ٢ ص ٢٥٤ (٢) النوادر لابن شداد ص ١١٩
(٣) المرجع السابق ص ١٢٢

إليهم أذى سلاح ، فإذا أرادوا إحراقه دخلوا تحت ذلك القبو فأمنوا ، ولكنهم ما كادوا يشعلون النار ، حتى انعكس الهواء عليهم ، أما البطسة التى كانت معدة لإحراق البرج فإنها احترقت بأسرها ، وهلك من كان فيها من المقاتلة إلا القليل ، وكذلك احترقت البطسة التى كانت معدة لإحراق الأسطول المصرى ووثب المسلمون عليها فأخذوها . وأما ذات القبو فقد ازعج من فيها وخافوا وهموا بالرجوع ، واضطربوا اضطراباً عظيماً ، فانقلبت وهلك جميع من كان بها ، لأنهم كانوا فى قبو لم يستطيعوا الخروج منه (١)

وحاول الأسطول مرة أخرى دخول الميناء بحمل إليها الميرة فتحطم بعضه على صخور الميناء ، لاضطراب البحر ، واشتداد هيجانه . وكان فيه من الميرة مما لو سلم لكفى البلد سنة كاملة (٢) وكان هذا سبباً من أسباب سقوط عكا . وحاول صلاح الدين أن يرسل بطسة كبيرة مشحونة بالآلات والأسلحة والميرة والرجال والأبطال المقاتلة ، حتى تدخل البلد مراغمة للعدو ، وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا ، فأحاط بها العدو من جميع جوانبها واشتدوا فى قتالها ، وجرى القضاء بأن وقف الهواء فقاتلوها قتالاً عنيفاً ، وقتل من العدو عليها خلق كثير ، وأحرقوا للعدو شيئاً كبيراً فيه جند كثير هلكوا جميعاً ، ولكن العدو تكاثر على أهل البطسة ، وكان مقدمهم رجلاً شجاعاً مجرباً يقال له : يعقوب ، من أهل حلب ، فلما رأى أن الدائرة ستدور عليهم صمم هو ومن معه ألا يسلموا من هذه البطسة شيئاً . فأعملوا معاولهم فيها ففتحوها من كل جانب فامتلأت ماء وغرق جميع من فيها وما فيها ، ولم يظفر العدو منها بشىء . وتلهف العدو بعض من كان فيها ، وخلصوه من الغرق وأرسلوه إلى المدينة ليخبرهم بالواقعة (٣) .

وظل الأسطول المصرى طول عهد صلاح الدين قائماً بواجبه يغير على أسطول الفرنج ، ويقتل من رجاله ، ويأسر ما شاء منهم ويستولى على مراكبه (٤) .

(١) المرجع السابق ص ١٢٣
(٢) النوادر لابن شداد ص ١٣٩ (٣) المرجع السابق ص ١٤٨
(٤) الروضتين جـ٢ ص ١٩٤

ولم يقف جهاد الأسطول في عهده على حرب الفرنج بالبحر الأبيض فقط ، ولكن كانت له وقفات حاسمة في البحر الأحمر أيضاً ، دافع فيها الفرنج عن الأراضي المقدسة بالحجاز ؛ ذلك أن صاحب الكرك وهو من ألدّ أعداء المسلمين وأشدهم نكاية فيهم ، فكر في مهاجمة المسلمين في البحر الأحمر ظناً منه أنهم غير مستعدين فيه ، وتأديباً لحامية أيلة التي كانت تغير عليه ، ولا سبيل له عليها لأنها تقيم بقلعة في وسط البحر ، فبنى سفناً ، ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل ، وجمعها في أسرع وقت ، وشحنها بالمحاربين وآلات القتال ، وسارت السفن وقد افترقت فرقتين ، أقامت إحداها على حصن أيلة يحصرونه ويمنعون أهله من ورود الماء ، فأصاب أهله شدة وضيق ، ومضت الثانية ، وهي فرقة فدائية إلى عيذاب ، وأفسد جندها في السواحل ، ونهبوا ، وأخذوا ما وجدوا من المراكب الإسلامية ومن فيها من التجار ، وفاجئوا الناس على حين غفلة منهم ، فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجياً ولا محارباً[1] ، وأرادت الفرقة أن تقطع طريق الحج ، فقد كانت الغزوة في شهر شوال سنة ٥٧٨ ، وأن تمضي إلى المدينة المنورة لتنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنقل جسده الشريف إلى بلادها ، وتدفنه عندها ، ولا تمكن المسلمين من زيارته إلا بجعل[2] ؛ وسارت الفرقة إلى بلاد الحجاز ، وجاء الخبر إلى مصر وبها الملك العادل أخو صلاح الدين ، فأمر قائد الأسطول وهو الحاجب لؤلؤ أن يتتبع هؤلاء الغزاة ، فانقض على محاصري أيلة انقضاض العقاب ، وقاتلهم فقتل بعضهم وأسر الباقي ، ومضى توّاً إلى شاطئ الحجاز ، فوجدهم قد أوغلوا في طريق المدينة حتى لم يبق بينهم وبينها إلا مسافة يوم[3] ، فمضى خلفهم على خيل أخذها من الأعراب ، وحاصرهم هناك في شعب[4] حتى استسلموا ، فقتل أكثرهم ، وأرسل بعضهم إلى مني لينحروا بها ، عقوبة لهم لرمي إخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله[5] ، وعاد بالباقين إلى مصر ، فكان لدخولهم يوم مشهود ، وأرسل صلاح الدين

(١) الكامل لابن الأثير حـ ١١ ص ٢٢١ .
(٢) خطط المقريزي حـ ٣ ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الروضتين حـ ٢ ص ٣٥ .
(٥) الكامل لابن الأثير حـ ١١ ص ٢٢٢ .

إلى أخيه العادل يأمره بقتل أسراه ، ويقول له على لسان القاضي الفاضل : وهؤلاء الأسارى قد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ... ولا بد من تطهير الأرض من أرجاسهم ، والهواء من أنفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين . ويظهر أن العادل كان من رأيه الإبقاء عليهم فكتب إلى أخيه بما رآه ، ولكن صلاح الدين لم يغير رأيه فيهم فكتب إلى العادل يقول له : «وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في إبقائهم فسحة ولا في استبقاء واحد منهم مصلحة ، ولا في التغاضي عنهم عند الله عذر مقبول ، ولا حكم الله في أمثالهم عند أهل العلم بمشكل ولا مجهول ، فليمض العزم في قتلهم ، ليتناهى أمثالهم عن فعلهم ، وقد كانت عظيمة ما طرق الإسلام بمثلها» ؛ غير أن العادل والسياسة جزء من عناصره لا يسرع إلى قتلهم بل يراجع أخاه كرة أخرى ، فيرد عليه بالقول الفصل : قد تكرر القول في معنى أسارى بحر الحجاز ، فلا نذر على الأرض من الكافرين ديّاراً ، ولا نوردهم بعد ماء البحر إلا ناراً فأقلهم إنما بقي جنى الأمر الأصعب ، ومتى لم تعجل الراحة منهم وعدت العاقبة بالأشق الأصعب[1] ، فلم يبق بعد ذلك مجال للمراجعة وقتل الأسرى ، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة[2] .

هذا وكان للأسطول المصري في البحر الأحمر الفضل في فتح بلاد اليمن على يد توران شاه أخي صلاح الدين فهو الذي حمل الأزواد والعدد والآلات إلى تلك الديار[3] .

ورأينا الأسطول المصري في عهد العادل يظفر بالفرنج سنة ٥٩٣ ويعود إلى القاهرة غانماً سبعين فارساً بذل أحدهم في فدائه ثمانين ألف دينار[4] ، ويعود من الغزو في السنة التالية حاملاً معه أربعمائة وخمسين أسيراً[5] .

وكان للأسطول المصري أثر حاسم في معركة المنصورة الأولى في عهد الكامل سنة ٦١٧ ، وكان عدد شواني المسلمين مائة

(١) الروضتين حـ ٢ ص ٣٦ .
(٢) خطط المقريزي حـ ٣ ص ١٣٩ .
(٣) الروضتين حـ ١ ص ٢١٧ .
(٤) ذيل الروضتين ص ١١
(٥) المرجع السابق ص ١٣

بأن تكون فى ميدانه ، تسوق الظامئين من كؤوس خمرتك الفكرية المتقة فى دنان الإلهام !

أجل يا صديقى ، إن مكانك هنا وليس هناك ... إنك صاحب القطارات ولست شيئاً آخر ، وإن فجرك الذى يشع بأضواء النبوغ ليهدى السالكين إلى نجاح الحق والخير والجمال .

بقى أن أقول لك إن رأيى الرأى القاضى لم ينصف رأيى الرأى الأديب ، وإن ميزان عدلك قد ظلم ميزان فنك : قطاراتك أنت تفتش عن كؤوسها ؟ كلا يا صديقى ، إن كؤوسنا نحن هى التى تفتش عن قطاراتك ! مواليد خيالك الخلاق تتنكر لها الحياة ؟ إنك لتظلم الحياة فى جوهرها الصفى ... إن الحياة لا يمكن أن تبخل على الموهوبين من أمثالك بالذكر الجميل ! أما الذين يبخلون فهم البلهاء الذين حرمهم الله نعمة الذوق والفكر والشعور ، وأظنك توافقنى على أن هذا القطيع من الآدميين لا يستطيع أن يغير شيئاً من وجه الحقيقة ، ولا أن يقيم الميزان لأقدار الناس ، ولا أن يحول بين فيض الإبداع وبين التدفق فى أودية الروح ومسارب العاطفة !

عليك إذن أن تكتب لهؤلاء الذين تلذ لهم الوجبة الفكرية الرضاعة التى تحمل شيئاً جديداً . وثق أنك إذا سقيت فستظل فى الكرمة تسقى ولن تفرغ الدنان : إن كرمتك يا صديقى لمت جذورها إلى أرض العبقرية بأسباب ، أما دنانك فأنا أبشرك منذ اليوم بكثرة الظامئين التلهفين إلى أن يشربوا نخب أدبك العالى وفنك الرفيع !

أخلص الشكر على هديتيك الكريمتين ... وإلى اللقاء فى رسائل خاصة ، تنقل إليك وإلىّ ومضات من الفكر ودفقات من الوجدان .

توفيق الحكيم واضع الإنسانى :

منذ أيام دق جرس التليفون فى مكتبى بوزارة المعارف ، وكان المتحدث هو الأستاذ توفيق الحكيم ... لقد تفضل الأستاذ الصديق فاتصل بى ليقول إن كلمات كتبتها عن « شهداء المثل العليا » قد تركت أثرها فى نفسه وصداها فى قلبه ، وكم يود أن يستمع لكثير من هذه النبضات الإنسانية فيما أكتب من تعقيبات ! وقلت للصديق الكريم رداً على جميل تقديره : يبدو أن بين فكرينا شيئاً من توارد الخواطر ، وأن بين قلبينا شيئاً من توارد الخفوق ... لقد كنت على وشك الاتصال بك لأقول لك أيضاً إنى أود أن تخرج لنا روائع أخرى يبلغ فيها الفن الإنسانى ذروته كما بلغها فى « سليمان الحكيم » ! ثم تشعب الحديث من الفن الإنسانى إلى غيره مما عرضنا له من فنون .

والحق أنى لم أكن قد قرأت بعد هذه المسرحية الرائعة حتى تفضل الأستاذ الحكيم فأهداها إلى فى طبعتها الثانية التى ظهرت منذ قريب ... ولقد خرجت بعد قراءتها بحقيقة ملموسة ، تثبرت على ضوئها نظرتى إلى معدن الإنسانية فى قلب هذا الفنان . إن من يقرأ « سليمان الحكيم » يلمس أن صاحبها يملك قلباً يهتز اهتزازاً عميقاً أمام جيشان العاطفة ! ولكن أين كانت كل تلك النبضات الشعورية والحركات النفسية ، ولم لم تفرض نفسها على بقية إنتاجه بمثل هذا التدفق الذى عطر كل صفحة من صفحات « سليمان الحكيم » ؟!

هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكرى فى كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات النفسية وهو فى ذلك يخضع للجو الذى تسيطر عليه نفسيات أبطاله ، هناك حيث نجد الصراع بين ذهن وذهن لا بين عاطفة وعاطفة ، ومن هنا تختفى الومضات الوجدانية فى تيه من التأملات الذهنية ، ولكنه فى « سليمان الحكيم » شىء آخر ... إن جو المسرحية كان جواً عاطفياً خالصاً هيأ للشعور الإنسانى أن يظهر على حقيقته ، حين تراجع الفكر المجرد متخلياً عن مكانه للروح الرفرفة والقلب الخفاق !

هذا أمر سأعرض له بالتفصيل عند الحديث عن مسرحية « الملك أوديب » فى الأيام المقبلة ... كل ما أرمى إليه من وراء هذه الكلمة هو أن أقرر إنسانية الفن فى شخصية توفيق الحكيم الأدبية ؛ وتلك ناحية كان يخالجنى فيها الشك قبل أن أقرأ « سليمان الحكيم » وقبل أن أستمع لرأى صاحبها فى « شهداء المثل العليا » !

تحية قلبية وأخرى فكرية :

تحت هذا العنوان تحدثت فى عدد مضى من « الرسالة » عما تعانيه الحياة الأدبية فى هذه الأيام من تخمة فى الكتاب وأزمة فى النقاد ، حتى ليتعذر على الناقد أن يتسع وقته لقراءة هذا العدد الضخم من الآثار الأدبية والكتابة عنها ! ثم قلت فى ثنايا كلمتى

إنني لن أكتب عن أي أثر أدبي يهدى إلي إلا إذا لمست فيه نفعاً للأدب وفائدة للقراء، وحسب كتاب لم يتحقق فيه هذا الشرط أن أقدم إلى صاحبه تحية قلبية ... أما الكتاب الذي يضيف إلى رصيد القارىء ثروة فكرية جديدة فهو جدير بتحية أخرى قلمية!

قلت هذا فكتب إليَّ بعض القراء عاتبين ومعترضين: إن النقد كما يقولون لم يخلق ليقصر على التنويه بالكتب القيمة والآثار النافعة لأن أصحاب هذه الكتب قد بلغوا من الشهرة والنضج وإقبال القراء ما يجعلهم في غير حاجة إلى التعريف بكتبهم والتحدث عن جهودهم، وحسبهم أن مكانتهم الأدبية قد بلغت من الصمود والمنعة ما يحول بينها وبين الاهتزاز أمام عواصف النقد وأعاصيره!

أما صغار الكتاب فما أحوجهم إلى العطف والتشجيع، والتوجيه الذي يسدد خطاهم ويدعم ملكاتهم، ويغذي في نفوسهم نزعة التشوف إلى بلوغ الكمال. فالإعراض عن كتبهم أمر يثبط العزائم ويجني على المواهب ويبعث على الخمول ... ورب شجرة صغيرة تتعهد بالسقيا وتخص بالرعاية، تنمو وتشتد أعوادها وتخرج للناس كل شهي من الثمر وكل مبهج من الفائدة!

إن ردي على هؤلاء العاتبين والمعترضين هو أنني حين عرضت لهذه المشكلة لم أقصر إهمال الكتابة على أديب صغير دون أديب كبير، ولكنني قصرته على كل كتاب يضيع معه الوقت سواء أكان صاحبه يكتب منذ ربع قرن أم كان يكتب منذ ربع شهر! أما قولهم بأن صغار الكتاب أحوج إلى التحدث عن آثارهم من كبار الكتاب؛ لأن هؤلاء الكبار تحميهم مكانتهم الأدبية من زلزلة النقد وهزات الناقدين فلا أوافقهم عليه. إن مقالا واحداً ينم بالفهم والعمق والأصالة جدير بأن يزلزل سمعة كبير أديب من أصحاب المكانة المرموقة، وجدير بأن يبقي كتبه في رفوف المكتبات لا تمتد إليها أيد ولا ترنو عيون! ولقد أصبحنا اليوم نجتاز مرحلة فكرية بلغت الأوج وأوغلت على النهاية؛ مرحلة ليس فيها أديب كبير ولا أديب صغير إلا في حساب الموازين الناضجة التي تفرق بين المواهب والثقافات، على ضوء الأعماق وحدها لا على ضوء الأهواء والنايات! ومع ذلك فلا بأس من الكتابة عن كتب كنت خصصتها بتحية القلب دون تحية القلم، ولا اعتراض بعد ذلك ولا عتاب!.

رسالة ماجستير في كلية الآداب:

كان ذلك في الأسبوع الماضي إذا لم تخني الذاكرة، حين توجهت إلى كلية الآداب وجعلت نفسي ما لا تطيق واستمعت لمناقشة رسالة عن «النهاد الأصفهاني» ... أنا لا أظلم الطالب الذي فاز بالماجستير في الآداب من درجة جيد، فكم من طلاب فازوا قبله بالدكتوراة من درجة جيد جداً وممتاز؛ فهذه رسالة عن «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» حظي صاحبها بمرتبة الشرف الأولى واستحق شكر الجامعة، ومع ذلك فقد طبعها لينتفع بها الناس فبقيت لتأنس بها رفوف المكتبات! وتلك رسالة أخرى في الفلسفة عن «الزمان الوجودي» حظي صاحبها أيضاً بمرتبة الشرف الأولى مع لقب أول فيلسوف مصري، ومع ذلك فقد طبعها ليرفع بها رأس الفلسفة الوجودية في الشرق فلم يبق لها وجود ... وكم من رسائل أخرى لقيت مثل هذا التقدير وانتهى بها الأمر إلى نفس المصير ...

نخرج من هذا كله بأن لكلية الآداب نظرتها إلى قيم الرسائل العلمية، وأن للرأي العام الفني نظرته. والفرق بين النظرتين هو الفرق بين القدرة على جمع النصوص من بطون الكتب وترتيبها وتبويبها وإخراجها في رسالة، وبين القدرة على الغوص في أعماق تلك النصوص ومراجعتها وتمحيصها وإخراجها في نظرية أو مذهب! إن خمسين صفحة تحمل بوتيات الضعن المحلق خير ألف مرة من مئات الصفحات التي لا تزخر بغير الترديد والتقليد ولكن من يسمع؟!

لحظات مع إيليا أبي ماضي:

شيء في شعر المهجر يثير إعجابي، وأوثره بتقديري، وأشعر نحوه بتجاوب الفكر والعاطفة ... ذلك هو صلة الفن بالحياة! الحياة في شعر المهجر نفس عميق، وهمس رقيق، ونبع شعور متدفق، ولعل هذه القصيدة التي صدح بها أبو ماضي في الحفلة التكريمية التي أقيمت له منذ أسابيع في دمشق من خير ما تراءت إشراقة لفظ، ورسالة أفق، وأصالة شاعرية!

عنوان القصيدة «عجباً لقومي». ومطلعها هذه الأبيات:

حي الشآم مهنئاً وكتابا ... والسوطة الخضراء والهرابا
ليست قباباً ما رأيت وإنما ... عزم تمرد فانتطال قبابا
فالثم بروحك أرضها ثم اعصر ... رأ لعل سكنت حمى وترابا

وإلى العدد المقبل حيث يتشعب فيها الحديث.

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قصة أوديب في الآداب المختلفة :

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة عنوانها « قصة أوديب في الآداب المختلفة » بنادي الخريجين المصري يوم الجمعة الماضي . فبدأ بتلخيص قصة أوديب كما وضعها سوفوكل في أوائل القرن الخامس قبل المسيح ، وحوادث القصة — كما هو معروف — تدور حول أوديب ابن الملك لايوس ملك طيبة ، وصراعه مع الأقدار التي قضت بأن ينشأ بعيداً عن والديه ، ثم تسوقه إلى حيث يقتل أباه وهو لا يعلم بأنه أبوه ، ثم يتزوج أمه وهو لا يعلم أنها أمه ، ويولد له منها أربعة أولاد ، ثم يعلم أن أولاده هم إخوته لأمه ... الخ

ثم قال الدكتور طه : إن سوفوكل صور في هذه القصة الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة ، وبين ذلك في مواقف القصة المختلفة . وقال إن الأسطورة كتبها كثيرون في القديم وفي الحديث ، حتى لم تخل منها لغة من اللغات الحية في العالم الغربي ، وقد أتيح للعربية أن تشارك في هذه الجهود ، فترجمتْ (الدكتور طه) إليها قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد . وجاء أخيراً الأستاذ توفيق الحكيم فكتبها بالعربية . وأنا سأقصر الحديث على قصتين هما قصة جان كوكتو وقصة أندريه جيد ، وقد وضعتا في وقت واحد تقريباً حوالي سنة ١٩٣٠ .

ثم حلل قصة جان كوكتو وقال إنه جنح فيها إلى الفن ولم يعن بالفكرة الفلسفية ، فقد صور جوكاستا (أم أوديب) امرأة مرحة ماجنة تعشق الكاهن ترسياس وتتغزل فيه ، وقد أهمل جان كوكتو الفكرة الفلسفية القديمة في القصة واتجه نحو فلسفة فرويد فيما يكون من الأحاسيس الخفية بين الأمهات والأبناء . وانتقل الدكتور بعد ذلك إلى قصة أندريه جيد فقال إنه أمضى القصة كما أمضاها سوفوكل ولكنه جعل أولاد أوديب من شباب العصر الحديث يندفعون إلى التجديد في كل شيء ، وجعل الصراع بين الدين ممثلا في الكاهن ترسياس وبين أوديب الملك الذي لا يؤمن إلا بنفسه وعقله وشعوره ووجدانه .

ثم قال إنه يفضل قصة أندريه على قصة جان جوكتو ، ويفضل على الاثنتين قصة سوفوكل .

وبعد ذلك وصل الدكتور طه إلى الأستاذ توفيق الحكيم فقال إنه يسره أن يحاول الأستاذ توفيق هذه المحاولة ، ولكنه لم يتخذ لها ما كان ينبغي أن يتخذه من عدة ، وأول ما كان ينبغي أن يتخذه من عدة أن يقرأ وأن يقرأ كثيراً ، على رغم ما يحدثنا به من أنه قبل أن يكتب القصة قرأ في الأدب اليوناني كثيراً ، فإنا نرى أن هذه القراءة متواضعة ومتواضعة جداً ... ثم ذكر الدكتور بعض المآخذ في قصة الحكيم ، منها أنه جعل أوديب يقتل الأسد بهراوة في يده ثم يحمله على ظهره ويلقيه في البحر ، ولو فرضنا أنه من الممكن أن يقتل الرجل الأسد بهراوة ويحمله على ظهره فأي بحر هذا الذي ألقاه فيه ؟ إن الإنسان يسير بين طيبة وبين البحر يوماً كاملا دون أن يحمل أسداً على ظهره . أكبر الظن أن توفيق الحكيم لم ير الخريطة ، ولعله قد اشتبهت عليه قرية صغيرة قريبة من البحر اسمها طيبة وهي غير طيبة التي وقعت فيها أحداث القصة .

ومن تلك المآخذ مأخذ قال إنه أفسد القصة من الناحية الفنية إفساداً ليس بعده إفساد ، ذلك أنه صور ترسياس في صورة المتآمر الذي ينزل إلى ما يجري عليه الناس من أنواع الدسائس والشرور ، ثم مأخذ قال إنه أفسد الناحية الفلسفية بأن جعل أوديب يطلب إلى زوجته وأمه جوكاستا أن تصرف النظر عما حدث ، ليعيشا مع أولادهما مكتفين بالتقى من طيبة ، وهذا لا يتفق مع غاية القصة من التصوير بالإثم ، ومن حسن الحظ أن جوكاستا ماتت ولم تقبل ذلك .

ثم قال إن توفيق الحكيم لم ينس أنه كان عضواً في النيابة العمومية ، فقد خلط الحوادث خلطاً عجيباً عند ما حكم على الكاهن وترسياس بأن يختارا بين الموت والنفي ثم وقفهما أمام الشعب ليحاكمهما .

وخرج الدكتور طه من الكلام على قصة توفيق الحكيم بأنها جمعت بين قصور جان كوكتو في الناحية الفلسفية وبين قصور أندريه جيد في الناحية الفنية .

ثم تحدث الدكتور عن المقدمة التي كتبها الأستاذ توفيق الحكيم لقصته فقال إن أقل ما يقال فيها إنها كانت تحتاج إلى عناية ، فقد كتب صفحات في الجواب عن هذا السؤال : لماذا لم ينقل العرب التمثيلية اليونانية ؟ وذكر أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — وأنا لا أعرف أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — فلماذا لم يعد من هناك بشيء من هذا الفن ؟ وراح الأستاذ توفيق يسهب في ذكر أسباب وفروض كثيرة ، وما كان أغناه عن هذا كله لو علم أن العرب لم ينقلوا التمثيل عن اليونان لسبب واحد بسيط ، هو أن اليونان لم يكن عندهم تمثيل في عهد العرب لأن المسيحية كانت قد قضت عليه ، ولو ذهب امرؤ القيس إلى هناك لما وجد تمثيلا . . .

ثم ختم المحاضرة بقوله : وأنا على كل حال أهنئ الأستاذ توفيق الحكيم بهذا الجهد ، وأقول إننا يجب أن نبدأ ولو بخطئين لننتهي مصيبين .

كشكول الأسبوع

□ وافق المجمع اللغوي على ما رآه لجنة الأدب من تنويه بمجموعة شعر المرحوم الأستاذ عبد المحسن الكاظمي تقديراً لمنزلته الشعرية الرفيعة ، وإنفاق المبلغ المرصد للمسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ — ٤٩ في إحياء كتابين هما ، سر صناعة الإعراب لابن جني ، وأنيس الجليس لزكريا بن الماني . وذلك بعد أن رأت أن ما قدم لهذه المسابقات من القصص والشعر والبحوث لم تتوافر فيه درجة الامتياز التي تسوغ لها أن توصي بمنحه الجائزة .

□ يطبع الآن السجل الثاني لسنة ١٩٤٨ الذي تصدره وزارة المعارف ، ومما يتضمنه إحصاء شامل لما ألقي من المحاضرات العامة في السنة الماضية ، وفي جملتها محاضرة ألقتها « الست أم عبده الاسكندرانية » .

□ نشرت « البلاغ » يوم السبت الماضي صورة فتيات ناعمات فاتنات في وضع راقص ، كتب تحتها « جمعية الشابات المسلمين تقيم حفلة خيرية راقصة » ألا ترى أن عدم التطابق بين الصفة (المسلمين) والموصوف (الشابات) ليس فقط من حيث اللغة بل كذلك من حيث العمل !

□ سمعت كلمة ثابية في مساء يوم من الأسبوع الماضي ، وقد ظهر أنها تغزت لمل (الميكروفون) من حوار — خارج البرنامج — لمناقشة وقعت بين موظفين في الإذاعة ، وقد اهتم أولو الشأن بذلك وصدر أمر بوقف المذيع عن عمله .

□ كان في برنامج الإذاعة يوم السبت الماضي تمثيلية « بيت يتهدم » شغلت نصف ساعة كله عويل وبكاء ، حتى خيل للمستمعين أنها إذاعة خارجية من مأتم نساء .

□ قال الأستاذ الناجي في دفاعه عن مطالب أم كلثوم من الإذاعة : « ومرجريت ترومان تتناول عشرة آلاف دولار في الأسبوع مقابل غنائها كل مساء ساعة واحدة في أحد مطاعم نيويورك » وأقول : إن التي يملي الأجر الكبير للغنية ، هو مظهر يستجلب (الزبائن) بغنائها ، وليست الدولة هي التي تدفع لها ، ومسألة « الإذاعة وأم كلثوم » تختلف عن ذلك ، فهي تتعلق بأموال الدولة .

□ أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفي الطبعة الثانية من كتابه « حافظ وشوقي » الذي ظهرت طبعته الأولى في العام الماضي ، وهو دراسة مقارنة للشاعرين .

□ ظهر أخيراً كتاب « أدب مصر الحديث » للأستاذ مصطفى زيد وقد عرض فيه الأدب الحديث على منهج علمي ، وبذل به جهداً ظاهراً في التحليل والنقد وربط الإنتاج ببواعثه .

□ وافقت اللجنة التنفيذية لشؤون السودان بوزارة المعارف على إهداء كتب للمدارس في السودان . وقد أرسلت في هذا الأسبوع أولى الكتب المهداة لمدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم لتتولى توزيعها على الأندية والهيئات الثقافية هناك .

تعقيب :

أما وقد تعرض الدكتور طه حسين بالنقد لكتاب « أوديب الملك » للأستاذ توفيق الحكيم ، فقد كان قسطاس النقد المستقيم يقتضيه أن يشير إلى مواطن الإجادة فيه ، ولا يقصر النقد على مواضع المؤاخذة ثم على الثناء والتهنئة الساخرين . . . وأنا لم أقرأ بعد هذا الكتاب ، ولكني لا أتصوره خالياً من شيء يستحق أن يوضع في كفة الحسنات ، فتوفيق الحكيم كاتب معروف بجودة الإنتاج القصصي على العموم مهما كان في هذا الإنتاج من مآخذ ، ويعرف قراء العربية حسن رأي الدكتور طه في بعض ما كتب الحكيم ، فهل هو الآن يستوفي النقد بذكر المآخذ في « أوديب الملك » بعد أن فرغ فيما مضى من الإشادة بما أحسن توفيق الحكيم في « أهل الكهف » ؟ ! وهل لي أن أقول إن الدكتور طه حسين لا يقتصد في التقريظ إذا قرظ ولا يقتصد في التأنيب إذا تأنب ؟ .

الثقافة المصرية بالسودان :

زار السودان منذ أسابيع الدكتور عبد السلام الكردانى بك الوكيل المساعد لوزارة المعارف ، واتصل هناك

بالمشرفين على التعليم فى حكومة السودان ، وبطبيعة الحال كانت المسائل التعليمية والثقافية هى موضوع الاتصالات ؛ وقد استرعى انتباهى من أنباء هذه الرحلة أمران ، الأول رد الكردانى بك على جريدة « النيل » السودانية وكانت قد تناولت مسألة توحيد التعليم فى السودان التى أثارتها الحكومة السودانية فى وجه مشروع التوسع فى التعليم المصرى بالسودان — قال الدكتور الكردانى : « إننى ممن يرون الخير فى تعدد أنواع التعليم والثقافات وأعتقد أننا فى مصر قد كسبنا من وجود مدارس ذات مناهج مختلفة » ثم قال : « إن هناك من يقولون فى الوقت الحاضر بضرورة توحيد الثقافات عند الأمم المتكتلة بتوجيه ثقافاتها وبرامج دراستها وجهة واحدة ، وكذلك ترى الجامعة العربية فيما يختص بالأقطار العربية المشتركة فيها وقد اتخذت خطوات فعلية فى هذا الاتجاه . فهلا ترون أن من مصلحة السودان العزيز وأهله الأعزاء أن يكون لديهم فى بلادهم فريق من أبنائه يسيرون فى دراستهم وفق المنهج الذى يسير عليه أشقاؤه فى مصر الشقيقة الكبرى وأبناء عمومتهم فى بقية البلاد العربية المتحدة المتضامنة سعياً وراء خيرها ورفعتها جميعاً ؟ » .

وهذه لفتة بارعة من الدكتور الكردانى ، وإن كان قد صاغها فى قالب من التحفظ ، فالسودان باتفاق جميع السودانيين جزء من البلاد العربية التى تتجه إلى توحيد غايتها الثقافية والتقريب بين برامجها الدراسية ، وتتخذ خطوات مصر وجهودها فى ذلك المضمار محوراً ومثلا لها ، فكل جهد يبذل فى الوقوف أمام انتشار التعليم المصرى بالسودان ليس ضاراً فقط بوحدة الوادى ، وإنما هو يمتد إلى مكان السودان من العروبة ونصيبه من قيمها الثقافية .

أما الأمر الثانى الذى لاحظته فى هذه الزيارة ، فهو أن الكردانى بك أدى مهمته باعتباره رجل تسليم وثقافة على خير ما تؤدى ، وكان عند مايجمل عمله أن يكون ، لقى الجميع وأحسن التفاهم مع الجميع ، فاحتفى به الجميع ، حتى امتدحت جريدة « النيل » وهى لسان الانفصاليين مسلكه فى المناقشة وسعة أفقه . والذى يهمنى من كل ذلك أن أضربه مثلا لرجال التعليم المصرى ورسل الثقافة إلى جنوب الوادى ، ولو أن كل من بعثنا هم إلى هناك لهذه الغاية كانوا كذلك ، ولم يقحموا أنفسهم فيما ليس من شأنهم ، لتجنبنا كثيراً من الأشواك ، ولما اضطرت حكومتنا إلى ما اضطرت إليه من الحرج فيما يتعلق ببعض مناحى التعليم بالسودان .

عزيزتى السيدة مالك :

أكتب لك هذا بمناسبة استئنافك العمل فى مسرحك ، بتمثيلية كليوباترا الشوق بك ، فأهنئك أولا بهذا الافتتاح وأتمنى لك أطيب التمنيات ، ثم أتوكل على الله وأفضى إليك بغاية القصد والمراد ... راجيا أن تتقبلى ما أفضى به تقبلا حسناً وألا يتكدر منه خاطرك .

ذلك يا سيدتى أن صوتك جميل جداً ولكنك تجنين على جماله بتشبثك أن تلحنى لنفسك ، ولا أقول فقط إنك لا توفقين فى التلحين ، وإنما يخيل إلى حينما أسمعك أنك تفتنين غناء فطريا ، وإن سامعك ليأسف على ضياع تلك الآهات والنبرات الحارة الشجية المنبثقة من قلب يشعر ، فى الصباح ، تذروها فوضى التنغيم .

ولا شك فى أن عدم توفيقك فى التلحين لا ينقص شيئاً من قيمة مواهبك الأخرى ، فأنت ممثلة مسرح ذات ذخيرة فياضة من حنان الأمومة ، ومغنية مسرح ممتازة من الطراز الأول ؛ وأعتقد أن صوتك يكون شيئاً آخر لو أسلمت قيادة للحن مقتدر ، ونحن فى عصر الاختصاص ، فمن أراد أن يكون كل شىء فلن يكون شيئاً .

والمهم بعد هو أن الميدان الفنى عندنا تنقصه الآن المسرحية الغنائية ، مع أن الجمهور المصرى يعشق هذا اللون من الفن . وأنت الآن — ولا أرى غيرك فى هذه الظروف — التى تستطيع أن تحيى المسرح الغنائى بتقديم روائع التمثيليات من الأدب الرفيع ، كما يدل على ذلك اختيارك لإحدى مسرحيات أمير الشعراء فى افتتاح موسمك الحالى .

فالتلحين ، يا ست ملك ، التلحين ... ولا شىء ينقصك غير التلحين ، فلا تكابرى وكونى ممن يسمع القول فيتبع أحسنه .

ولك تحياتى واحترامى .

عباس خضر

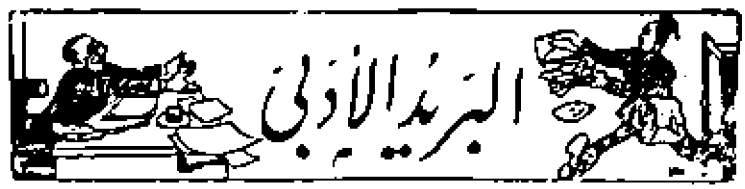

الفلوجة أو الفالوجة أو الفالوجا :

أصبحت هذه البلدة العزيزة عنواناً مضيئاً من عناوين المجد في تاريخنا الحربي الحديث ، فينبغي أن ننطق بها ونكتبها على الوجه الصحيح . والعرب كانوا وما زالوا ينطقون بالفلوجة مفتوحة الفاء مشددة اللام مختومة بالتاء ، ويجمعونها على فلالیج ، ويريدون بها الأرض المصلحة للزرع . ثم أطلقوها على كل قرية بسواد العراق كما يجوز لنا اليوم أن نطلقها على كل قرية أو اقطاعية بالأرض التي تصلحها الحكومة في كفر سعد أو في غيره . ثم صارت الفلوجة علماً على هذه القرية بفلسطين وعلى قرية أخرى بالعراق على الطريق ما بين الرمادي وبغداد . وقد كان المرحوم الرصافي يهاجر إليها كلما نبا به العيش في دار السلام . والعراقيون ينطقون بها على الضبط الوارد في كتب اللغة .

التقريب بين اللغتين :

كتب الشيخ محمود أحمد الشمراوي كلمة طالعت من أسلوب الرسالة الرفيع المتزن ، فقد رمى الدعوى رمية عشواء وقوّلنا غير قولنا ! ونحن ندعوه أن يعاود قراءة كلمتنا ثم يرجع البصر ، ويقلب البصيرة ، فيرى أننا لا نحل الدخيلة محل الفصحى ، بل دعونا دعوة « مخلصة » إلى وجوب المحافظة على اللغة ببقاء قواعدها ، وإليه مقولنا :

« ونحن إذا تجوزنا في القاعدة ، وقلنا : لا عنت في جواز جعل فاعلين لفعل واحد كما في شأن أكلوني البراغيث لشاعت القاعدة وجرت على الألسنة ، فتضيع اللغة في أوضاع تقيدها » .

وإن كل ذي بصر يرى مدى تحفظنا في إيراد السياق . فقد « تجوزنا » ولم نسق الحقيقة ، وقلنا : إن إشاعة « الدخيلة » تجني على اللغة ؛ فمن أين أتى الشيخ بدعوتنا إلى هدم العربية ؟

إن لغة القرآن تسمو على التقييد ، لأنها أبلغ استدلال عليه ، ومقتضى هذا هو الارتفاع به عن التأويل المفضي إلى الفصاحة كوهه وإبهامه . فنحن نعنى بالتأويل في الآية الذي من « القاعدة » بحسب الظاهر لدفع ما قد يوهم ؛ لكن الشيخ يريد ما لا يريده المنطق ثم يريدنا عليه !

إن المفسرين — لا الزمخشري وحده — يسيرون في التأويل على وفاق اتساق السياق ولم يجنحوا — كاد ما به — إلى الإعراب متقصدين التذرع به لإيضاح وحدة المعنى .

بل اتجهوا إلى النحو ثم رغبوا في التأويل ليزداد الوضوح ؛ فالإعراب ليس مقصوداً لذاته ، لأنه فرع المعنى !.

وليعلم الشيخ أن لغة علي وأزد شنوءة موافقة للفصحى لا فوقها . قال عمرو ابن ملقط:

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقية

وقد ذكر التوضيح أن هذه اللغة لا تمتنع مع المفردين أو المفردات المتعاطفة بدليل قول عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير .

قتلى تتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم

وعدم المنع يبين صحة جعل ما يتصل بالفعل ضمائر في « لغتهم » .

أما إدعاء الشيخ « محمود الشمراوي » أننا نحل الألفاظ الدخيلة محل الفصحى فردنا عليه في قولنا :

« وعندنا أن التقريب قد يكون في إشاعة الألفاظ المتقاربة في « الدلالة » مثل إمتى ؟ في — متى — ومين ؟ في — مَنْ — — وفين — في — أين — .

هذا ما يمكن بحثه في مقام « دراسته » أما القواعد الأصيلة فيجب أن تبقى محافظة على اللغة » .

هذا ما أثبتناه وفحواه ما يأتي :

أولا : أننا جعلنا « دلالة » الألفاظ مسوّغة لتقاربها ولم نؤيد استعمال الدخيلة .

ثانياً : أننا جوزنا هذا التسامح في « دراسة » أدوات الاستفهام للأبناء .

ثالثاً : أننا أوجبنا بقاء القواعد سليمة محافظة على اللغة .

أحمد عبد اللطيف برر

المدرس ببورسعيد — ومن العلماء

حافظ وشوقي :

طلبت مجلة المقتطف من الأستاذ الشاعر الأديب حسن كامل الصيرفي أن يكتب لها مقالة عن حافظ وشوقي بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على وفاتهما ، فكتب لها دراسة مطولة عن الشاعرين جاوز بها حد المقالة ، وجعلها كتاباً يقع في أربع وسبعين صفحة من القطع المتوسط ، وقد طبعته مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م

والأستاذ حسن كامل الصيرفي شاعر وأديب ، والشعر عنده رسالة يجب أن يؤديها في كل عصر ، فهو ينظر إلى حافظ وشوقي على أنهما شاعران عاشا يتردد اسماهما معاً منذ ، وتتعارض حياتهما مواصفات تتنافس أحياناً ، وتمر بهما نسمات صفاء أحياناً أخر ، ولكنهما كانا يشعران أنهما يتعاونان على أداء رسالة واحدة وجهتهما إلى طريقها عباقرة الشعر ، وطبيعة العصر ، وقد ماتا معاً في سنة واحدة ، كأنهما شعرا أنهما أديا رسالتهما في الشعر ، ولن يستطيع واحد منهما أن ينهض وحده بعبء تلك الرسالة ، بعد هذا الجهاد الطويل في تأديتها .

وعلى هذا الأساس تقوم تلك الدراسة النفسية لشعر حافظ وشوقي ، وتقوم الموازنة بين شعر كل منهما . وقد وجد الأستاذ حسن كامل الصيرفي من ذوقه — وهو ذوق شاعر أديب — ما ساعده على بلوغ الكمال في هذه الدراسة ، وإني أهنئه عليها تهنئة صادقة .

عبد المتعال الصعيدي

تصحيح مردود :

في البريد الأدبي للرسالة الغراء عدد (٨١١) اطلعت على كلمة الأديب الفاضل محمد الشاذلي حسن يخطيء فيها استعمال لفظة « ماتع » صفة للشيء المستحسن الجميل ، ويستشهد لذلك ببيت المجنون الوارد في أغاني الأصفهاني :

أشرن بأن حتوا الجمال فقد بدا من الصيف يوم لافح الحر ماتع

ويذكر أن الشراح ذكروا أن « الماتع هو الطويل » .

وأقول : كون « الماتع » بمعنى الطويل لا يمنع كونه بمعنى الجيد بل البالغ في الجودة ؛ ففي اللسان — أعني لسان العرب — (متع الرجل ومتع جاد وظرف وقيل كل ما جاد فقد متع وهو ماتع والماتع من كل شيء البالغ في الجودة الغاية في بابه) :.

خذه فقد أعطيته جيداً قد أحكمت صنعته ماتعا

وبعد : فلو لم يكن مرجعنا (اللسان) أطال حبل الكلام في مقام الاستشهاد والإيراد ، وخير الكلام — كما قيل — ما قل ودل ، وأرجو أن يكون في هذا القليل الدليل ، والسلام .

الزيتون هرناده

أحكام اللجنة

عن نتيجة المسابقة الثقافية

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح الدرسي :

تقدم للجنة إحدى عشرة تمثيلية رأت اللجنة منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيها لتمثيليتي « عروس النيل » و « الساعة ١٢ » مما لمؤلفهما عزت السيد ابراهيم ، وكذلك الجائزة الثانية وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « مؤامرة صغيرة » لمؤلفها حسين محمد القباني .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية :

تقدم للجنة عشر تمثيليات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « أفراح أنشاص » لمؤلفها فريد عين شوكه . والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « أرض الآباء » لمؤلفها صوفي عبد الله . والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « الأم » لفتحية حسن .

٣ — المسرحيات العامة :

تقدم للجنة ثماني مسرحيات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « ساحر بابل » لمؤلفها عثمان حلمي . والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحيتي « الحرية والعدالة » و « أرض السلام » مما لمؤلفهما محمد محمد شعبان ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « جلاء الصدا » لمؤلفها عبد الواحد فرج ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « السلسلة والنغران » لمؤلفها علي أحمد باكثير .

٤ — القصة الطويلة :

تقدم للجنة ثماني قصص وقد رأت اللجنة — كما هو مخول لها — تعديل قيم الجوائز فجعلت درجة بين الدرجة الأولى وبين الدرجة الثانية سمتها « الثانية الممتازة وقدرها مئة وعشرون جنيها » وجعلت قيمة الدرجة الثانية تسعين جنيها ، وزادت درجة ثالثة خصصت لها خمسين جنيها . ثم رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « بعد الغروب » لمؤلفها محمد عبد الحليم عبد الله ، ومنح الجائزة الثانية الممتازة وقدرها مئة جنيه لقصة « وراء الأفق » لمؤلفها محمد محمود شعبان . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها لقصة « رجل المعجزات » لمؤلفها محمد أمين حسونه . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها « دعاء الفجر » لمؤلفها حسين محمد القباني . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « طريق المجد » لمؤلفها سعد مرسي أحمد . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « شقاء عذراء » لابراهيم محمد بازيد .

٥ — القصة القصيرة :

تقدم للجنة سبع وعشرون قصة رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها خمسة وعشرون جنيها لقصة « الضاربون في الأرض » لنظمي لوقا . والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصة « غابت الشمس » لمحمد يسري أحمد ، والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصتي « الأرملة السوداء » و « الأعماق » مما لمؤلفهما صلاح الدين حافظ ، والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لقصة « سرقة بالطابق السادس » ليوسف إسحاق الشاروني ، والجائزة الثانية عشرون جنيها لقصة « المسلي افندي » لنجيب محمود عزب . والثانية عشرون جنيها لقصة « صراع » لرجائي محمد . والثانية عشرون جنيها لقصة « مقامرة ليلة » لعبد العزيز شريف . والثانية عشرون جنيها لقصة « قبور في الطريق إلى تل أبيب » لمواطن بيوى . والثانية عشرون جنيها لقصة « أسطورة الأساطير » لنهاد سعد الدين . والثانية عشرون جنيها لقصة « تصفية حساب » لنصري عطا الله . والثانية عشرون جنيها لقصة « هؤلاء الساكنين » لمحمد عبد الرازق مرزوق . والثانية عشرون جنيها لقصة « عذراء دمشق » لابراهيم محمد بازيد . والثانية عشرون جنيها لقصة « نداء الإنسانية » لعز الدين فراج . والثانية عشرون جنيها لكل من قصتي « درس » أو « السيد الحديد » مما لمحمد لبيب البوهي .

٦ — البحوث الأدبية والفنية :

تقدم للجنة ثلاثة بحوث رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لبحث « ابراهيم باشا » لمؤلفه مصري كامل . والثانية مئة جنيه لبحث « مسلم بن الوليد » لحسين محمود البشبيشي . وجائزة ثالثة وقدرها خمسون جنيها لبحث « الحب عند العرب » لمؤلفه محمد فتحي .

٧ — بحوث في التاريخ والآثار :

لم يتقدم أحد .

٨ — الرحلات :

تقدم للجنة مؤلفان رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لكتاب « رحلات في الغرب وأسبانيا » لمحمد وهبي .

٩ — الموضوعات البسطة في العلوم :

تقدم للجنة سبعة موضوعات رأت منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لكل من موضوعي « القيمة الغذائية » و « دليل العلم » مما لمؤلفهما عز الدين فراج ، والجائزة الأولى مئة وخمسون جنيها لموضوع « الغذاء الكامل » لمحمد الشحات محمد ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لموضوع « العلماء ثائرون » لجمال الدين موسى ، والثانية مئة جنيه لموضوع « الجيل الجديد » لعزت السيد ابراهيم ، والثانية مئة جنيه لكل من موضوعي « الصناعات الكيمائية » و « وسائل السفر الحديث » مما لمؤلفهما حسن الشماري .

توفيق الحكيم ، ابراهيم عبد القادر المازني ، عباس العقاد ، عبد الرحمن صدقي ، زكي طليمات ، فريد أبو حديد ، دكتور ابراهيم عبد الرحمن ، دكتور مصطفى الديواني .

بعتمد الشرقاوي

١٣٦٢

فى أصـــــول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب فى الأدب والنقد ؛ يمتاز بالبحث والعمق والتحليل الدقيق والرأى المبتكر .

من موضوعاته : الأدب وحظ العرب من تاريخه ، العوامل المؤثرة فى الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة العربية فى العلم والعالم ، الرواية المسرحية والملحمة وتاريخهما وقواعدها وأنسابها وكل ما يتصل بها ، وهو بحث طريف يبلغ نصف الكتاب .

طبعة جديدة مزيدة فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط وثمنـــه خمسة وعشرون قرشـــاً

صدر حديثاً :

خمر وخمـــر

للشاعر الناقد الأستاذ عدنان أسعد

يطلب من دار المعارف ومن جميع المكتبات الشهيرة بمصر والبلاد العربية

وثمنه ٢٥ قرشاً

سكك حديد الحـــكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٩

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٤٩ .

وفضلا عن أهمية الإعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الإقبال على الإعلان فيها شديد

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعـــلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة